

النَّبِيَّةُ

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

جميع الحقوق محفوظة للمحقق



منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صنعاء

ت: ٥١٣١٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّبِیُّ

تَأْلِیْفُ

الْإِمَامِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْهَارُثِيِّ

(٣٣٣ - ٤١١ هـ)

تَحْقِيقُ

عَبْدُ الْكَرِيمِ أَحْمَدُ جَدَّانَ



مَكْتَبَةُ نَيْلِ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المؤلف

هو الإمام المؤيد بالله أبو الحسين، أحمد، بن الحسين، بن هارون، بن الحسين، بن محمد، بن هارون، بن محمد، بن القاسم، بن الحسن، بن زيد، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أبوه

هو الحسين، بن هارون، بن الحسين، بن محمد، بن هارون، بن محمد، بن القاسم، بن الحسن، بن زيد، بن الحسن، بن علي، بن أبي طالب عليهم السلام.

أمه

أم الحسن، بنت علي، بن عبد الله الحسيني العقيقي.

مولده

ولد بآمل طبرستان في الكلاذجة (محافظة مازندران حاليا) تقع في شمال إيران على بحر الخزر. ولد سنة (٣٣٣هـ).

نشأته

نشأ في أحضان أسرة علوية كريمة، ترشف رحيق العلم العلوي، وتنسم عبق الخلق النبوي، (نشأ على السداد، وأحوال الآباء الكرام والأجداد، وتآدب في عفوان صباه حتى برع فيه) (١).

أخذ في طلب العلم والتوفر على المعرفة منذ نعومة أظفاره، مع أخيه الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين.

شيوخه

- ١- أبو العباس أحمد، بن إبراهيم، بن الحسن الحسيني (خاله).
- ٢- أبو الحسين، علي، بن إسماعيل، بن إدريس.
- ٣- أبو عبد الله البصري شيخ المعتزلة المتوفى سنة (٣٧٧هـ).
- ٤- قاضي القضاة عبد الجبار، بن أحمد، بن عبد الجبار، شيخ المعتزلة المتوفى سنة (٤١٩هـ).
- ٥- قاضي القضاة أبو أحمد، بن أبي علان.
- ٦- أبو بكر المقرئ أحد علماء الحنفية.
- ٧- الحافظ محمد، بن عثمان النقاش.
- ٨- أبو رشيد، سعيد، بن محمد النيسابوري.

تلامذته

- ١- الإمام الموفق بالله أبو عبد الله الحسين، بن إسماعيل الحسيني، والد الإمام المرشد بالله، وصاحب كتاب ((الإحاطة)) في علم الكلام، وكتاب ((الاعتبار وسلوة العارفين في الزهد)).
- ٢- الإمام أبو الحسين أحمد، بن أبي هاشم، المعروف بالشريف ((مانكدم)) وهو الذي قام بالإمامة بعده ((لنجا)) سنة (٤١٧هـ).
- ٣- الشريف أبو جعفر الزيدي، الزاهد العابد، الذي استدعاه المويد بالله عليه السلام ليستخلفه أكثر من مرة فأبى.
- ٤- الفقيه أبو القاسم، بن تال الهوسمي الزيدي المتكلم، راوي المذهب عن المويد بالله، وجامع ((الإفادة، والزيادات)) المتوفى سنة (٤٢٠هـ).
- ٥- علي بن بلال الآملي الزيدي، مولى السيد المويد بالله وأخيه أبي طالب، وصاحب كتاب ((الوافي)) وثمة ((مصابيح أبي العباس الحسيني)).
- ٦- القاضي يوسف الخطيب الجليلاني صحبه ستة عشر عاما.
- ٧- القاضي أبو الفضل زيد، بن علي الزيدي.

- ٨- أبو منصور، بن شبة الفرزادي.
- ٩- الشريف أبو القاسم، بن زيد، بن صالح الزيدي.
- ١٠- الشريف محمد، بن زيد الجعفري.
- ١١- القاضي أبو بكر الموحي.
- ١٢- أبو الحسين الأبسكوني.
- ١٣- أبو علي، بن الناصر الأطروش.
- ١٤- أبو الفوارس توران شاه، بن خسرو شاه.
- ١٥- أبو عبد الله، بن الحسين، بن محمد سياه سريجان.
- ١٦- أبو القاسم يوسف، بن كج الدينوري، وكان إمام أصحاب الشافعي.

مؤلفاته

قال الموفق بالله: وله عليه السلام التصانيف المعجبة، فمنها في الأصول: ((كتاب النسب)) وهو يدل على غزارة علمه في الأصول، ثم في الأدب، فإنه بين المعارضات التي عورض بها القرآن الكريم، وكشف عن إحاضها وأبان عوارها بكل وجه، وسلك في ذلك من طريقة علم الأدب ما يدل على علو منزلته وارتفاع درجته.

وله في الأصول: ((التبصرة)) كتاب لطيف، وله في فقه الهادي عليه السلام ((كتاب التجريد)) وشرحه أربعة مجلدات استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر، وأحسن فيها كل الإحسان. وله ((البلغة)) أيضا في فقه الهادي عليه السلام، وله في فقه نفسه ((الإفادة)) مجلد، و((الزيادات)) مجلد، علق ذلك أصحابه عنه. وفيه كل مسألة عجيبة، وفتوى غريبة. ولهذين الكتابين شروح وتعليق عدة، ومهما طلبت الغرائب فلها توجد في فقهه عليه السلام منصوصة^(١).

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٨.

من مؤلفاته:

- ١ - كتاب النبوات. طبع بغير تحقيق، وأنا أعمل على تحقيقه، أسأل الله العون والتيسر .
- ٢ - كتاب التجريد. في فقه الهادي يحيى بن الحسين وجده القاسم الرسي عليهما السلام.
- ٣ - كتاب شرح التجريد، تحت التحقيق.
- ٤ - كتاب البلغة في الفقه.
- ٥ - كتاب ((الإفسادة في الفقه)). ويسمى أيضاً ((التفريعات))، تَوَلَّى جمعها تلميذه أبو القاسم بن تال: ويتضمن آراءه الفقهية وعليه زيادات وشروح وتعليق عدة.
- ٦ - كتاب ((الزيادات)). فتاوى ومسائل عليه زيادات، وشروح، وتعليق عدة، منها شرح القاضي أبي مضر.
- ٧ - كتاب ((نقض الإمامة على ابن قبة الإمامي)). صنفه في شبابه.
- ٨ - كتاب ((إعجاز القرآن في علم الكلام)). ذكره الجنداري في رجال الأزهار.
- ٩ - كتاب ((التبصرة)) - وهو هذا الذي بين يديك - عليه تعليق لإسماعيل الرازي، وشرح للإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي.
- ١٠ - تعليق على شرح السيد مانكلم. ذكره الجنداري في رجال الأزهار.
- ١١ - الموسميات. ذكره الجنداري في رجال الأزهار.
- ١٢ - كتاب الحاصر لفقه الناصر. ذكره حُجَّيد في الحدائق الوردية في ترجمة الناصر الأطروش.
- ١٣ - سياسة المريدين.
- ١٤ - رسالة جواب قابوس في الطعن على الصحابة. ذكره الحاكم الجشمي في جلاء الأبصار.

١٥ - كتاب الدعوة.

١٦ - ديوان شعر. ذكره آغا بزرك الطهراني في الذريعة - ج ٩/ق ٣ ص ١١٢٧. وقال: إنه ديوان ضخم.

١٧ - كتاب الأمالي الصغرى. طبع.

علمه

خاض الإمام المويد بالله في كل بحر من بحار العلم والمعرفة، والنقط أنفس ما فيها، فكان رأساً في علم الكلام، والحديث، والفقه وأصوله. أخذ علم الكلام وفق منهج المدرسة البغدادية.

كان في الأصل إمامياً يرى رأيهم على طريقة والده، يئد أنه كان متحرراً الفكر، لا يتقبل أي فكرة ويعتقها إلا بعد فحص وتدقيق، وعندما رأى بعض الأصول الإمامية لا تقوم على بينة من صريح العقل، أو صحيح النقل، ورأى التناقض والتعارض البين في مروياتهم عن الأئمة، أشاح بوجهه عنها، وأخذ في البحث والنظر عن شاطئ أمان يرسو عليه، فألقى بعصاه واستقر به النوى في رياض الزيدية، وأحدث ذلك الانتقال هزة في صفوف الإمامية، مما حدا بالشيخ الطوسي المعاصر له إلى أن يولف كتابه الشهير ((تهذيب الأحكام)) رداً عليه وتبييناً له.

قال الطوسي في مقدمة التهذيب: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد ومستحقه، وصلواته على خيرته من خلقه محمد وآله وسلم تسليمًا، ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خير إلا وبزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا، وذكروا أنه لم يزل شيوخكم السلف والخلف يطعنون على مخالفهم بالاختلاف الذي يدينون الله تعالى به، ويشنعون عليهم بافتراق كلمتهم في الفروع، ويذكرون أن هذا مما لا يجوز أن يتعبد به الحكيم، ولا أن يُبيح العمل به العليم، وقد وجدناكم أشد اختلافًا من مخالفكم، وأكثر تباينًا من

مباينيتكم، ووجود هذا الاختلاف منكم، مع اعتقادكم بطلان ذلك دليل على فساد الأصل، حتى دخل على جماعة ممن ليس لهم قوة في العلم، ولا بصيرة بوجوه النظر ومعاني الألفاظ شبهة، وكثير منهم رجع عن اعتقاد الحق لما اشتبه عليه الوجه في ذلك، وعجز عن حل الشبهة فيه، سمعت شيخنا أبا عبد الله أيده الله يذكر أن أبا الحسين الماروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة، فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث وترك المذهب ودان بغيره^(١).

كان الإمام المويد بالله ذا عارضة قوية، وقرينة صافية، وبديهة حاضرة، ولسان حاد، محاوراً من الطراز الأول، يناظر ويحاور علماء المسلمين واليهود، فلا يسعهم إلا التسليم له، والإذعان لحجته.

قال الشهيد حميد: كان وحيد عصره، وفريد دهره، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام، والناصر لفقهاء الذرية الكرام^(٢).

وقال أيضاً: كان عليه السلام (بحراً يقذف بالدرر، وجوياً يهطل بالدرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية، وأدرك النهاية)^(٣).

وقال مصنف سيرته الإمام الموفق بالله: كان عارفاً باللغة والنحو، متمكناً من التصرف في منشورها ومنظومها، وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وكان فقيهاً بارعاً متقدماً فيه مناظراً. وكان متقدماً في علم الكلام وأصول الفقه، حتى لا يعلم أنه في أي العلوم الثلاثة كان أقدم وأرجح. ولم يبلغ النهاية في العلوم الثلاثة غيره، وإنما تقدم في علم أو علمين. وكان قد قرأ على الشيخ المرشد أبي عبد الله البصري، ولقي علماء جميع عصره واقتبس منهم. وعلق زيادات الشرح بأصفيهان عن قاضي القضاة بقراءة غيره. وحكي عن الشيخ أبي رشيد أنه قال: لم أر السيد

(١) تهذيب الأحكام ٣/١.

(٢) الحقائق الوردية ٦٥/٢.

(٣) الحقائق الوردية ٦٧/٢.

أبسا الحسين منقطعاً قط مع طول مشاهدي له في مجلس الصباح، وكان لا يُغلب إن لم يُغلب، وكانا يستويان إن لم يظهر له الرجحان.

وذكر بعض من صنف في أخباره، أن الصباح الكافي قال ذات ليلة للحاضرين: ليذكر كل واحد منكم أمنيته، فذكروا، فقال: أما أنا فأتمنى أن يكون السيد أبو الحسين حاضراً وأنا أسأله عن المشكلات وهو يبينها لي بالفاظه الفصيحة وعباراته المليحة. وكان قد فارقه إلى أرض الديلم.

ويُحكى أن يهودياً متقدماً في المناظرة والمجادلة قدم على الصباح، فاتفق أنه حضر مجلس الصباح، فكلم اليهودي في النبوات حتى أعجزه وأفحمه، فلما قام من المجلس ليخرج قال له الصباح: أيها السيد أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب.

وحكى عنه قدس الله روحه أنه قال: عزمت على أن أسافر إلى الأهواز للقاء قاضي القضاة أبي أحمد بن أبي علان وسماع مختصر الكرخي عنه، فأتميت إلى الصباح ما وقع في قلبي، فكتب كتاباً بخط يده وأطنب في وصفي ورفع عن قدري حتى كنت أستحي من إيصال ذلك الكتاب، فأوصلت الكتاب إلى قاضي القضاة، فقال: مرحباً بالشريف فإذا شاء افتتح المختصر. ولم يزد على ذلك ولا زارني بنفسه مع تقاعدي عنه من الغد، ولا أزارني أحداً من أصحابه. فعلمتُ أنه اعتقد في كتاب الصباح أنه صدر عن عناية صادقة لا عن حقيقة. ففقدت عنه، حتى كان يوم الجمعة حضرت الجامع بعد الظهر وبجلسه غاص بكبار العلماء، فقد كان الرجل مقصوداً من الأفاق، فسل القاضي أبو أحمد مسألة كلامية، وكان لقي أبا هاشم فقلت لما توسط في الكلام: إن لي في هذا الوادي مسلماً، فقال: تكلم، فأخذت في الكلام وحققته عليه المطالبات، ثم أوردت أسئلة عرقت فيها جبينه، فامتدت الأعين نحوي. فقلت بعد أن ظهرت المسألة عليه: يقف على فضلي القاضي. وسئل شيخ إلى جنبه عن مسألة في أصول الفقه، فلما أتمى السائل ما عنده قلت: إن لي في هذا الجوّ متفساً، فقال القاضي: والأصول أيضاً ١٩ فحققت تلك المسألة على ذلك الشيخ، فظهر ضعفه، فسأحته. وسئل شيخ عن يساره عن مسألة في الفقه

فقلت: لي في هذا القطيع شاة، فقالوا: والفقهاء أيضاً ١٩ فأوفيت الكلام في تلك المسألة أيضاً حتى تعجب الفقهاء من تحقيقي وتدقيقي، فلما ظهرت المسألة كان المجلس قد انتهى. فقام القاضي من صدره وجاء إلى جني فقال: أيها السيد نحن ظننا أن الصدر حيث جلسنا فإذا الصدر حيث جلست، فجتناك نعتذر إليك من تقصيرنا في بابك. فقلت: لا عذر للقاضي مع استخفافه بي مع شهادة صاحب بخطه. فقال: صدقت لا عذر لي، ثم عادي من الغد في داري مع جميع أصحابه وبالع في التواضع، فحضرت فقرأت عليه الأخبار المودعة في المختصر فمستعها بقرائه، وأمدني بأموال من عنده، فرددتها ولم أقبل شيئا منها، وقلت: ما جئتك عافياً مستمنحاً، فقد كان حضرة صاحب أوفى حالاً وأسهل مثلاً، ولم يكن هناك تقصير في لفظ، ولا تفریط في لحظ، ففارقته فشيوعي مع أصحابه مسافة بعيدة وتأسفوا على مفارقتي^(١).

وقال أيضاً: وسمعت الشيخ أبا الفضل ابن شروين رحمه الله يقول: دع أئمة زماننا، إنما الشك في الأئمة المتقدمين من أهل البيت وغيرهم، هل كانوا مثل هذا السيد في التحقيق في العلوم كلها أم لا ١٩

قال: وسمعت القاضي أبا الحسين الرفاء يقول: ليس اليوم في الدنيا أشد تحقيقاً في الفقه من السيد أبي الحسين الهاروني.

وحكي أن المؤيد بالله سئل عن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة في مجلس صاحب، فكلمه القاضي أبو القاسم بن كج، وكان إمام أصحاب الشافعي، وآل الكلام إلى جميع من حضر من الفقهاء، فانقطعوا في يده، فقال صاحب: يقال: لا علم لطائفة فيهم هذا الأسد، يعني المؤيد بالله.

وحكي أنه ورد عليه من كلار مسائل صعبة على أصول المهادي، فأجاب عنها، وهذه المسائل موجودة، فقال صاحب: لست أتعجب من هذا الشريف كيف أتى بهذا السحر، وإنما أتعجب من رجل بكلار كيف اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة^(١).

وقال الشهيد حميد: ولقد حكى لي بعض أصحابنا الواصلين من ناحية العراق، وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي النجاشي رضي الله عنه، أنه بات ليلة من الليالي ومعه رجل من الصالحين، فبات ذلك الرجل يعبد الله عز وجل والسيد المؤيد بالله بالقرب منه، فلما طلع الفجر قام المؤيد للصلاة، فقال له ذلك الرجل: أيها السيد أتصلي بغير وضوء؟! فقال: لم أتم في هذه الليلة شيئا، وقد استبظت سبعين مسألة. ولقد كان علماء عصره يعجبون من تحقيقه وشدة تدقيقه. ولا عجب من أمر الله يوتي فضله من يشاء، ولذرية الرسول صلى الله عليه وآله المزية على من عداهم، والفضل على من سواهم.

ولقد سمعت شيخنا الفاضل العالم محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعائي رضي الله عنه يحكي أن السيد المؤيد بالله قدس الله روحه، لما توفي وأقبل الناس إلى أخيه السيد أبي طالب عليه السلام يسألونه، فقال له قائل: أين كان هذا العلم في حياة السيد أبي الحسين؟! فقال: أوكان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحسين في الحياة؟! مع أن علم السيد أبي طالب غزير، وفهمه جم كثير، على ما نحكي ذلك.

وروي أنه قيل لأخيه السيد أبي طالب عليه السلام: أتقول بإمامة أخيك؟ فقال: إن قلنا بإمامة زيد بن علي، فما المانع من القول بإمامة أخي؟! فانظر كيف شبهه عليه السلام بأعلى الأئمة قدراً، وأغزهم علماً، لأننا قد بينا أنه أقام خمسة أشهر يفسر سورة الحمد والبقرة، وذكرنا غير ذلك مما يكثر^(٢).

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٨ - ٢٦٩.

وقال أيضاً: كان في بعض الليالي يطالع مسألة مع الملحدة الدهرية، فاشتبه عليه جواب مسألة، فأمر باتخاذ مشعلة وقصد باب قاضي القضاة، بعد قطع من الليل وهدير الناس والأصوات، فأخبر قاضي القضاة بحضوره، فاشتغل خاطره وهياً مكاناً وجلس فيه حتى إذا دخل عليه وجاراه في تلك المسألة وانفتح له جوابها واتضح لديه ما كان منها، قال له قاضي القضاة: هلا أخرت إلى الغد وتعنت في هذا الوقت ؟ فقال المويد مغضباً من كلامه متمجبا: ما هذا بكلام مثلك !! أيجوز لي أن أبيت وقد أشكلت علي مسألة، وبمكنتني أن أجتهد في حلها ؟! فاعتذر إليه قاضي القضاة وقال: إنما ذكرت هذا الكلام على الرسم الجاري من الناس، وطيب قلبه وعاد إلى منزله^(١).

وقال الموفق بالله: وحكي أنه وقع بينه وبين قاضي القضاة وحشة واستزادة بسبب مسألة الإمامة، فتقاعد عن لقائه حدود شهر، حتى ركب إليه قاضي القضاة وقال له: قد بلغك حديث جدك الحسن بن علي وأخيه الحسين وقول الحسين: لولا أن الله فضلك في السن علي حتى أردت أن يكون السبق لك إلى كل مكربة، لسبقتك إلى فضل الاعتذار، فإذا قرأت كتابي هذا فاسبق إلى ما كتب الله لك من حق السبق، والبس نعلك وقدم في العذر والصلح فضلك. فقال المويد بالله: قد أطاع قاضي القضاة أيضاً فضل سهمه وعلمه، وعمل بمقتضى ما زاده الله من سهمه، واعتنقا وطالت الخلوة والسلوة بينهما.

وكان صاحب يقول: الناس يتشرفون بالعلم والشرف، والعلم تشرف بقاضي القضاة، والشرف ازداد شرفاً بالشريف أبي الحسين.

وكان صاحب يعظمه كل الأعظام، وكانت يمينه للسيد المويد بالله، ويساره لقاضي القضاة، وكلا لا يرفع فوق المويد أحداً، إلى أن قدم العلوي رسولاً من خراسان وكان محتشماً عند السلطان ملك الترك الخاقان الأكبر. مبعلاً عنده، حتى أن صاحب استقبله، فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه، فلما دخل المويد بالله رآه

على مكانه فتحير، فأشار عليه الصاحب أن يرتفع إلى السرير الذي استند إليه الصاحب، فصعد المويد بالله إلى السرير وجلس في الدست الذي كان عليه^(١).

شعره

من شعره عليه السلام قوله:

تَهَذَّبُ أَحْلَاقُ الرِّجَالِ حَوَادِثُ
وَمَا أَنَا بِالْوَانِي إِذَا الدَّهْرُ أَتَانِي
بِلَانِي حِينًا بَعْدَ حِينٍ بِلَوْنِهِ
وَحَيْثُكُنِي كَيْفَمَا يَقُودُ أَرْؤُوسِي
لِيَعْلَمَ هَذَا الدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالَةٍ
عَنَانِي أَبَاءَ كِرَامٍ أَعَزَّةٍ
فَمَا مُدْرِكُ بِلَهِ اللَّهِ يَبْلُغُ شَاوَهُمْ
فَلَا بَرَقَهُمْ يَا صَاحِبَ إِنْ شِئْتَ خُلْبُ
هَمَّ زَهَتْ الْأَعْرَابُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ الْكَافِي:

سَقَى عَهْدَهَا صَوْبَ مَنْ الْمَرْنَ هَاطِلُ
مَنَازِلُ نَحْمُ الْوَصْلَ فِيهِنَّ طَالِعُ
وَمُرْتَبِعُ لِلْهَرَبِ بَيْنَ رُبُوعِهَا
رِيَاضُ حَكَّتْ أَبْرَادَ صِنْعَاءِ رُقْمِهَا
وَكُلُّ سَحَابٍ شَافَةَ الْأَرْضَ قُرْبُهُ
سَحَبْنَا عَطَافَ الْهَوَى فِي عَرَصَاتِهَا
نَحْمِي بِهِ تِلْكَ الرَّبِّي وَالْمَنَازِلُ
يُضْيِيءُ وَنَحْمُ الْمَجَرَّ فِيهِنَّ أَفْلُ
مَسَارِحُهُ مَانُوسَةٌ وَالْمَسَاهِلُ
غَدَاةُ حَبَابِهَا الْوَشْيَ طُلُ وَوَابِلُ
كَأَنَّ السَّجَاعَ الرِّبِّي فِيهِ مَشَاعِلُ
وَعَنْ لَنَا فِيهَا غَزَالُ مَغَازِلُ

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٧١ - ٢٧٢.

بما سَمَحَتِ والدهرُ عنهمُ غافلُ
وليس لها في أن تُعَاتِبَ طائلُ
فلا الجهلُ مُتَنَابٌ ولا الوصلُ راحلُ
وشئى بيننا الواشى ولج العواذلُ
كما أن دمع الهجرِ أحرَقَ هاملُ
ولي حَوْلَ رَبَّاتِ الحجابِ حبالُ
هُما شيمُ أرضى بها وشمالُ
أساطيرُ لم تنهضَ لهنَّ أناملُ
وللهمَّ حولي حيثُ سرتُ قتابلُ
فجاء به أنس من الغيِّ حائلُ
فمن دون ما يبغي من الصَّومِ حاملُ
تتمُّ له النُّعمى وتزكو الفضائلُ
تتمُّ لك حتى ليس ينحوهُ باطلُ
على منكبِ الجوزاء منه الحمائلُ
إذا عَنَ لم تشمخَ بسحبانٍ وائلُ
وشخص الردى من وقعه مُتضائلُ
فللكفر منها حيثُ شاء زلازلُ
ولأذت به حين اعترتها الغوائلُ
يفيضُ وهلُ تُغني الدموعُ الهواملُ
وكلُّ لديه السيفُ والسيفُ قاصلُ
ولم يبقَ فيها عن سَنَّا العدلِ عادلُ
وقد غُمرت تلك النُّهى والدلائلُ

وطابت بها الأيامُ إذ سمحتُ لنا
وكان شجاي عاذلاً لعواذلي
نعمنا بها لم نعرفِ البؤسَ والأسى
كأنِّي أغرى بالصباية كُلمًا
ليالي عَيْنِ الوصلِ فيها قريرةُ
وإذ لَمَمي للغانيات صوائدُ
أجرُ بردائى صبرةً وصبايةُ
إلى أن بدا للشيب بين مفارقي
فلأنس عني حيثُ كنتُ تنكبُ
أناسا الربيعُ الغضُّ في ثوبِ عفةِ
إذا حاول الضلالُ إسعافَ أهله
كذا من يسوسُ صاحبُ القرمُ أمره
ولما انتحى الثوروزُ خدمةً بابه
غدا سيفه الظمانُ في الله مُصلتا
وفصلُ خطابٍ لم تنله الأوائلُ
تبلجُ عنه غُرةُ الدين والهدى
دعا دعوةً لله جرَّةُ سيفها
ولما شكت أرضُ الجبالِ عطوبها
وأذرت دُموعاً مثلَ نائله الذي
دعا نحوها عزماً كَبَا البرقُ دونه
فشقَّ ظلام الظلم عن وجه أهلها
وأوضح فيها للنجاة دلائلاً

وَمِنْ قَبْلُ مَا حَكَمْتَ قِيَّ كُلِّ مَارِقٍ
صَوَارِمٍ وَأَصْلَنَ الطُّلَى فَأَلْفَنَهَا
وَشَرَّدْتَ مَنْ أَبَقْتَ سَيْوْفُكَ مِنْهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ مَنَازِلُ
أَلَا أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمَاجِدُ الَّذِي
أَنَامَلُ لَوْ كَانَتْ تُشِيرُ إِلَى الصُّفَا
لَأَغْنَيْتَ حَتَّى لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مُعَدَّمٌ
وَكَمْ لَكَ فِي أَبْنَاءِ أَحَدٍ مِنْ يَدٍ
إِلَيْكَ عَقِيدَ الْمَجْدِ سَارَتْ رِكَابُهُمْ
فَاعْطَيْتَهُمْ حَتَّى لَقَدْ سَمِعُوا اللَّهَى
وَأَسْعَدْتَهُمْ وَالنَّحْسُ لَوْلَاكَ نَاجِمٌ
فَكُلُّ زَمَانٍ لَمْ تَزَيِّنْهُ عَاطِلُ

ولما قال أحمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن سُكْرَةَ:

إِنَّ الْخِلَافَةَ مَذُّ كَانَتْ وَمَذُّ بَدَأَتْ
إِذَا انْقَضَى عُمُرُ هَذَا قَامَ ذَا خَلْفًا
فَقُلْ لِمَنْ يَرْتَجِيهَا غَيْرُهُمْ سَهْلاً

أَقَامَ مَقَامَ الرُّوحِ مِنَ الْمَنَاصِلِ
وَأَنَّ قَضَايَا الْمُرَهَفَاتِ فَوَاصِلُ
وَمِنْ دُونِ مَا لَاقُوهُ تَطْوِي الْمَرَاجِلُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْخُتُوفُ رَوَاجِلُ
أَنَامَلُهُ الْقُلُوبُ غُيُوثُ هَوَاجِلُ
تَفَجَّرَ لِلْعَافِينَ مِنْهَا جَدَاوِلُ
وَأَعْطَيْتَ حَتَّى لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَمَلُ
لَهَا مَعْلَمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَائِلُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا عُكْلَاكُ وَمَسَائِلُ
وَعَادَ مِنَ الْعَذَالِ مَنْ هُوَ سَائِلُ
وَأَعَزَّزْتَهُمُ وَالذُّلُّ لَوْلَاكَ شَامِلُ
وَكُلُّ مَدِيحٍ غَيْرَ مَدْحِكَ بَاطِلُ

فأجابه السيد المويد بالله قدس الله روحه في حال حديثه:

قُلْ لَا بِنَ سُكْرَةَ يَا تَغْلَ عَبَاسُ
أَنَا الْمَطْبُوعُ فَلَا تُخَشَى بَوَادِرُهُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ

أَضَحَتْ عِلَافَتُكُمْ مِنْكَوَسَةَ الرَّاسِ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي ذُلٍّ وَإِعْمَاسِ
خَصَّ ابْنَ دَاعِي بَتَاجِ الْعَرَبِ فِي النَّاسِ

فأجوج المويد بالله إلى مفارقة جيلان وامتد إلى الري وأنشد:

فررتُ من العُدّة إلى العُدّة وكنتُ عددُهم زُمَرَ الثّقات
لقد خابتُ ظنوني عند قوم يرونَ محاسني من سيّاتي
يُهيحونَ العُصاةَ عليّ هيجاً وهم شرٌّ لديّ من العُواة^(١)

ورعه وزهده وحلمه

كان عليه السلام في الورع والتكشف والاحتياط والتفرّز إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به. وتصوّف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغاً منيعاً، وحل في التصوف والزهد محلاً رفيعاً، وصنف سياسة المريدين. وكان عليه السلام يجعل السمك من السوق إلى داره، وكانت الشيعة يتشبثون به ويتبركون بحمله فلا يَمَكُن أحداً من حمله، ويقول: إنما أحمله قسراً للهوى وتركاً للتكبر، لا لأعواز من يحمله. وكان قدس الله روحه يجالس الفقراء وأهل المسكنة، ويكثر أهل السر والعفة ويميل إليهم، ويلبس الوسط من الثياب القصيرة إلى نصف الساقين قصيرة الكمين. وكان يرقع بيده قميصه، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغ من إصلاحه. وكان يلبس قلنسوة من صوف أحمر مبطنة يحشوها بقطن، ويتعمم فوقها بعمامة صغيرة متوسطة. وكان يلبس جورباً يخطه من الخزق ثم يلبس البيطيط. وكان لا يستقوّت ولا يُطعم عياله إلا من ماله. وكان يرّد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يكثر ذكر الصالحين، وإذا خلا بنفسه يتلو القرآن بصوت شجي حزين. وكان غزير الدمع، كثير البكاء، دائم الفكر، يتأوّه في أنثائه، وربما تيسّم أو كثر عن أسنانه.

قال القاضي يوسف: صحّته ست عشرة سنة فلم أره مستغرقاً في الضحك. وكان لا يفطر في شهر رمضان حتى يفرغ من العشاء الآخرة. وكان يداوم على الصلاة بين العشايتين، ويُطعم في شهر رمضان كثيراً من المسلمين. وكان يمسك بيت المال

بيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد، ويفرق على الجند بيده، ويوقع في الخطوط بيده.

ويحكى أنه رضي الله عنه انتهى يوماً من الأيام لحم حوت، فبعث الوكيل إلى السماكين فلم يجد فيها إلا حوتاً لم يقطع، وقالوا: لا نريد أن نقطعه اليوم، فعاد إليه وأخبره بامتناعهم من قطعه. فوجه به ثانياً وقال: مرهم عني بقطعه، فأبوا بقطعه، فلما عاد إليه حمد الله على أن رعيته لا تحذر جنبته، وأنه عندهم ورعاياه سواء.

وكان قدس الله روحه كثير الحلم عظيم الصفح. يُحكى أنه دخل المتوضأ ليجدد الطهارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فرعاً، فقال له: ما دهاك؟ فقال: إني بعثت لقتلك. قال: وما الذي وعدوك عليه، قال: بقره، قال: ما لنا بقره، وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير وقال: اشتر بها بقره ولا تعد إلى مثل ذلك.

وحكى أنه قدس الله روحه كان يسير في طريق كلار فطلب ممطراً له من بُندار صاحبه، فقال: هو على بقل لبيت المال، فأنكر عليه وقال: متى عهدتني أستحيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال؟ فأمر بإخراجه وتوفير الكراء من ماله. وكان يصرف عليه السلام من خاص ماله إلى بيت المال ما يكون عوضاً عما يرسله الكتاب في أول الكتب وتفرجه بين السطور إلى الكبار.

وحكى أن شيئاً من المقتسر حُمِلَ إلى داره لصرفه في مصالح المسلمين، فالتقط منه حبات بعض الدجج التي تُقتنى لأكله خاصة، فغرم من ماله أضعاف ذلك، وقيل: إنه صرف الدجج إلى بيت المال.

وروى أن ولده الأمير أبا القاسم شكاً إليه ضيق يده وقلة نصيبه من بيت المال، واستأذنه في الإنصراف، فأطلق له ذلك، فقال له أصحابه: إن أبا القاسم فارس فارس ولا غنى عن مثله، فلو أطلق له ما يكفيه، فقال: إني أدرّ عليه ما نصيبه ولا يمكن الزيادة عليه، فإن الله سبحانه أمر بالتسوية بين الأولاد والأحباب.

وكان له صديق يتحفه كل سنة بعدد من الرمان، فلما كان في بعض السنين زاد على رسمه وعادته، فسأله عن ذلك؟ فقال: لأن الله زاد في رماننا فردنا في رسمك.

فلما أراد الخروج شكا عن بعض الناس، فقال: رُدُّوا عليه رمانه كله، وأمر بإزالة شكايته ودفع الأذى عنه، إلى غير ذلك من الحكايات الجمّة في ورعه وزهده وتشفه^(١).

جهاده

عاش المؤيد بالله في عصر يموج بالفوضى والفن، يحكمه الاستبداد السياسي، وتتقاسمه الدويلات المتنازعة الخارجة على بني العباس بعد ضعف دولتهم المركزية، وحصادهم نتائج استبدادهم وجورهم وتحكمهم في مصائر البلاد والعباد، وجعلهم مال الله دولا وعباده خولا.

وقد غُضّ المؤيد بالله دعياً إلى الله، خارجاً على الظلمة، فكان أول خروج له سنة (٣٨٠هـ) قبل وفاة صاحب بن عباد بأربع سنوات، وفشلت حركته، فخلصه صاحب من انتقام بني بويه الذين كانوا يحكمون الجليل والديلم في تلك الفترة. ثم عاد مرة أخرى فقام بالإمامة وبايعه الجليل والديلم واستتب له الأمر في تلك البلاد فترات، وخسرج من يده فترات أخرى، وخاض حروباً طاحنة، وجابه معارضين أشداء، منهم: أبو الفضل بن الناصر. وتغلب عليه السلام على ((هوسم)) ثم هزمه ((شوزيل))، فعاد إلى الري، ومكث بآمل حتى جاءته الكتب بمناصرة الجليل والديلم، فعاد وافتتح مدينة هوسم، ثم افتتح آمل، وبقي عليه السلام في كر وفر وجهاد يطول شرحه، حتى توفاه الله يوم عرفة سنة (٤١١هـ)^(٢).

منهجه في الحكم

أما عن منهجه في الحكم ورؤيته للسلطة فيمكن أن يتبينه القارئ من كتاب دعوته الذي ضمنه المبادئ والأفكار التي قام من أجلها، والذي حدد فيه ما يجب عليه تجاه المجتمع، وما يجب له إن عدل من الطاعة.

(١) أخبار أئمة الزيدية / ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٢) يرجع في ذلك إلى الحقائق الوردية ٢ / ٧٣ - ٧٨.

قال: عباد الله إني رأيت أسباب الحق قد مرجت، وقلوب الأولياء به قد خرجت، وأهل الدين مستضعفين في الأرض، يخافون أن يخطفهم الناس، ورأيت الأموال تؤخذ من غير حلها، وتوضع في غير أهلها، ووجدت الحدود قد عطلت، والحقوق قد أبطلت، وسنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بدلت وغيّرت، ورسوم الفراعنة قد جددت واستعملت، والأميرين المعروف قد قلوا، والناهين عن المنكر قد وهنوا فذلوا، ووجدت أهل بيت لاني صلى الله عليه وآله وسلم مقموعين مقهورين مظلومين، لا يوهلون لولاية ولا شورى، ولا يتركون ليكونوا مع الناس فوضى، بل منعوهم حقهم، وصرفوا عنهم فيهم، فهم يحسبون الكف عن دمائهم إحساناً إليهم، والانتقباض عن حبسهم وأسرهم إنعاماً عليهم، يطلبون عليهم العثرات، ويرقبون فيهم الزلات، ووجدتم في كل واد من الظلم يهيمون، وفي كل مرعى من الضلال يسيمون بعضه بعضاً، وأموال تنهب نهباً، لا يرقبون في مؤمن ألا ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون، **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** [النساء: ١٠].

ووجدت الفواحش قد أقيمت أسواقها وأدية نفاقها، لا خوف الله يُذع، ولا حتى الناس يمنع، بل يتفاحرون بالمعاصي، ويتباهون بالإثم، قد نسوا الحساب، وأعرضوا عن ذكر المآب والعقاب، فلم أجد لنفسى عذراً أن قعدت ملتزماً أحكامهم، متوسط آثامهم، أونسهم ويونسوني، وأسألهم ويسألوني، فخرجت أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين. . . .
أبها الناس أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والرضى من آل محمد، ومجاهدة الظالمين، ومنازمة الفاسقين، وإني كأحدكم لي ما لكم وعلي ما عليكم، إلا ما خصني الله به من ولاية الأمر، يا قومنا أجيروا داعي الله وآمنوا به **﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [الأحقاف: ٣١]، استحيوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ، وما لكم من نكير، تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ومعية الرسول.

أيها الناس سارعوا إلى بيعتي، وبادروا إلى نصرتي، وازحفوا زحفاً إلى دار هجري، انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا ومهجتها، فإنها ظل زائل، وسحاب حائل، ينقضي نعيمها، ويضعن مقيمها، والآخر خير وأبقى أفلا تعقلون، وإن الدار الآخرة هسي الحياة لو كانوا يعلمون، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين.

أيها الناس مهما اشتبه عليكم فلا يشبه عليكم أمري، أنا الذي عرفتموني صغيراً وكبيراً، وزاحمتوني طفلاً وناشئاً وكهلاً، قد صحبت النساك حتى نسبت إليهم، وخالطت الزهاد حتى عرفت فيهم، وكاثرت العلماء، وحاضرت الفقهاء، فلم أحل عن مورد ورده عالم بارع، ومشروع شرع فيه متقن فارغ، وجادلت الخصوم نصحاً عن الدين ونضالاً عن الحق المبين، حتى عرفت موافقي، وكبت وحفظت طرائقي، وأثبتت هذا وما أثري نفسي في أثناء هذه الأحوال، وبجامع هذه الخصال، من تقصير وتعذير، ولا أزكيها بل أثراً إلى الله من حولها وقومها، وإن جميع ذلك من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأما نسيي إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدونه فلق الصباح، ولا عذر لكم أيها الناس في التأخر عني، والاستبداد دوني، وقد ناديت فأسمعت لتحيوا دعوتي، وتنجروا لنصري، وتعينوني على ما نهضت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ألا فاعينوني على أمري، وتقرؤا بمجهدكم نصرتي، وأوردكم خير الموارد، وأبلغكم أفضل المحامد.

عباد الله أعينوني على إصلاح البلاد، وإرشاد العباد، وحسم دواعي الفساد، وعمارة مناهل السداد، ألا ومن تخلف عني وأهل بيعتي، إلا لسبب قاطع أو لعذر مانع بين الحجة، فإنني أجاتيه للخصام يوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين

معدرتهم ولمس اللعنة ولهم سوء الدار، يوم الآزفة، فأقول: ألم تسمع قول جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من سمع واعتنا أهل البيت لم ينجها كبه الله على منخره في النار »، ألا فاسمعوا وأطيعوا، انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، قل إن كان آباؤكم وأبناءكم ... الآية، فليتفق كلمتكم، وليجتمع شملكم، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين.

ألا وقد سلك سبيل من مضى من آباءي الأخيار، وسيلفي النجاء الأبرار في منابذة الظالمين، ومجاهدة الفاسقين، مبتغياً فيه مرضات رب العالمين، فاسلكوا أيها الإخوان سبيل أتباعهم الصالحين، وأشباعهم البررة الخاشعين، في المعاونة والمظاهرة، والمكاتف والموازرة، وتبادروا رجالاً، وسارعوا إلى إرسالاً، وإياكم والجنوح إلى الراحة طالين لها وجوه العلل، مغترين بما فصح الله لكم من المهل، وعن قليل يحق الحق، ويطل الباطل، ويعاين كل امرئ ما اكتسب، ويجازي كل بما اجترم، يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين، فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد^(١).

وفاته

توفي عليه السلام يوم عرفة سنة (٤١١هـ) عن (٧٨ سنة)، ودفن في يوم الأضحى، وصلى عليه السيد ((مانكلم))، وبني عليه مشهد مشهور مزور في لنجا من محافظة مازندران.

عرج على قبر بصعدة وابك مرموسا بلنجا
واعلم بأن المقتدي هما سيلغ ما ترجا

منهج التحقيق

بما أن الكتاب يكاد يكون مفقودا لولا أن مَن الله سبحانه بنسخة مخطوطة، لعلها الوحيدة فيما أعتقد، لأنني رغم بحثي وتنقيي المستمر عنها، بيد أنني لم أحصل على نسخة أخرى في اليمن، ولم أقف عليها أيضا في فهارس كثير من مكتبات العالم. نماذج من المخطوط

- لهذا فقد كنت مضطرا لتصحيح وتقوم النص اجتهدا.
- وزعت النص إلى فقرات، والفقرة إلى جمل، مستخدما علامات الترقيم المتعارف عليها.
- خرجت الأحاديث المذكورة في الكتاب، والوقائع التاريخية التي يشر إليها المؤلف.
- علقت بعض التعليقات التي رأيت أنها ضرورة لتبيين وتوضيح مقصود المؤلف.
- وضعت مقدمة تشتمل على دراسة موجزة عن الكتاب، وترجمة مختصرة عن المؤلف.
- وضعت عناوين للمباحث.
- وضعت فهرسا.

سائلا الله سبحانه أن يتقبل منا إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

عبد الكريم أحمد حديان

اليمن — صعدة

جماد أول / ١٤٢٢ هـ الموافق ٨ / ٢٠٠١ م



كتاب التبصرة

للمؤيد بالله (هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

قال السيد الإمام أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون الحسيني عليه السلام: الحمد لله على قواضل قسمه، وسوابغ نعمه، وصلواته على عترته، محمد النبي وعترته.

[التفكير فريضة إسلامية]

اعلم أن أول ما يلزم المكلف هو النظر المفضي به إلى معرفة الله تبارك وتعالى، والذي يدل على ذلك أنه قد ثبت وجوب معرفة الله تعالى على جميع المكلفين، وثبت أن معرفة الله لا تحصل مع التكليف إلا بالنظر.

فإن قيل: ولم قلتم إن معرفة الله تعالى واجبة على جميع المكلفين؟ قيل له: لأنه قد ثبت أن معرفة الله لطف في فعل الواجبات وترك المقبحات، لأن الإنسان إذا عرف أن له صانعا مديرا صنعه وديره، كان أقرب إلى اجتناب القبائح اللوازم، وما كان لطفا في الواجبات وترك المقبحات كان واجبا.

فإن قيل: ولم قلتم إن معرفة الله تعالى لا تحصل ضرورة إلا بالنظر؟ قيل له: لأنه قد ثبت أن معرفة الله تعالى لا تحصل ضرورة، وثبت فساد التقليد فلم يبق إلا أن يكون النظر هو الذي يتوصل به إليها، ونجد أنفسنا في المعرفة بالله على خلاف ما نجدها في المعرفة بالمشاهدات.

فإن قيل: ولم قلتم إن التقليد فاسد؟ قيل له: لأن التقليد لو جاز لم يكن تقليد بعض المقلدين بأولى من تقليد غيره، وهذا يؤدي إلى أن يجوز تقليد من يقول بقدم العالم، كما يجوز تقليد من يقول بحدوثه، وتقليد كل من قال شيئا، كفرا كان ما قال أو إيمانا، وهذا معلوم الفساد، ثبت بذلك صحة ما قلناه.

وقد أمر الله تعالى بالنظر في محكم كتابه، فقال: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]. وقد عئف على ترك النظر فقال عز من قائل: ﴿ أَقَلَّ أَنْظَرُونَ إِلَى

الْإِبِلَ كَيْفَ خَلَقْتَ ﴿١٦﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
 نُصِبَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٩﴾ ﴿[الأنبياء: ١٧-٢٠]. وقال: ﴿أَفَلَمْ
 يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِمَّنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿[سبا: ١٩].
 وإحصاؤها وغير ذلك من الآيات التي يكثر عددها، ولا يمكن إحصاؤها.

فإن قيل: ما أنكرتم أنه تعالى أراد بالآيات التي تلوموها نظر البصر؟

قيل له: هذا الذي ذكرت لا يصح، لأننا نعلم أن القوم الذين دُعوا إلى النظر
 وعوتبوا على تركه، كانوا ينظرون بالأبصار إلى هذه الأشياء، فبان أن الدعاء إنما
 كان إلى النظر الذي هو الفكر.

[التوحيد]

فإن قال قائل: فما النظر المفضي به إلى معرفة الله تعالى؟

قيل له: هو النظر فيما ذكره الله تعالى، حيث يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتَةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْجَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْجَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤-١٦].

وغير ذلك من الآيات التي معناها معنى هذه الآيات.

وبيان ذلك أنا قد علمنا أن هذه الأجسام التي ذكرها الله تعالى في كتابه، لا بد أن تكون على أحوال لا يصح كونها عليها إلا بالفاعل المدير، لعلمنا أن الكتابة لا تكون إلا من كاتب، ولا البناء إلا من بان، والتصوير لا يكون إلا من مصور، وقد ثبت أن الفاعل يجب أن يكون متقدما لفعله، فثبت أن الصانع يجب أن يكون متقدما لجميع هذه الأجسام، إذ قد ثبت أن هذه الأجسام لا تفك من أحوال لا يجوز أن تكون عليها إلا بالصانع، وإذا ثبت تقدم الصانع لهذه الأجسام، ثبت ^(١) حدوثها، لأن من تأخر وجوده عن وجود غيره، فلا شك في حدوثه، وإذا ثبت حدوث الأجسام، وجب أن يكون الذي دبرها وأوجدها على تلك الأحوال، هو الذي أحدث عينها وفعلها، إذ الفعل لا بد له من فاعل على ما بينا.

(١) في المخطوطة: وثبت. والصواب ما أثبت.

[شواهد الحدوث]

فإن قيل: وما هذه الأحوال التي ادعيت أن الأجسام لا يجوز انفكاكها منها؟
 قيل له: هي الأحوال التي أثبتناها في صدر هذه الفصل، وهي كونها متحركة
 وساكنة، ومجمعة ومتفرقة، وكون التراب تراباً، ثم كونه نقطة، ثم كونه مخلقة، ثم
 كونه مضغة، ثم كونه عظاماً، ثم كسونا العظام لحماً، ثم كون الإنسان طفلاً، ثم
 كونه ناشئاً، ثم كهلاً، ثم مردوداً^(١) إلى أرذل العمر، فهذه الأحوال هي التي يُعلم
 أن الأجسام لا تنفك من بعضها أو مثلها، وقد علمنا أنه لا يجوز أن تحصل عليها
 إلا بالفاعل المدبر، فوجب بهذه الجملة إثبات الصانع، فإذا عرف المكلف بما ذكرنا
 وقلنا من إثبات الصانع، وجب عليه أن يعلم أنه قادر، عالم، حي، سميع، بصير،
 قسيم.

[القادر]

فإن قيل: فما الدليل على أنه تعالى قادر؟
 قيل له: الذي يدل على ذلك، أنا وجدنا في الشاهد من لا يتعذر عليه الفعل مفارقاً
 لمن يتعذر عليه، فلا بد من اختصاصه بصفة لكونه عليها فارق من يتعذر منه
 الفعل، فإذا ثبت ذلك وثبت أن صانع العالم لا يتعذر منه الفعل — إذ قد بينا أنه
 هو الفاعل لهذا العالم — ثبت اختصاصه بتلك الصفة، والقادر هو المختص بتلك
 الصفة، فثبت أنه تعالى قادر.

[العالم]

فإن قيل: فما الدليل على أنه عالم؟
 قيل له: الدليل أنا وجدنا في الشاهد قادراً يتعذر منه الفعل المحكم المنسق المنتظم،
 وقادراً^(٢) لا يتعذر منه ذلك، فوجب أن يكون الذي لا يتعذر منه ذلك مختصاً

(١) في المخطوطة: مردود. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: وقادر. والصواب ما أثبت.

بصفة، لكونه عليها فارق من يتعذر عليه ذلك من القادرين، والعالم هو المختص بتلك الصفة، فإذا ثبت بذلك وثبت أن القدم تعالى قد صح منه الفعل المحكم المنسق المنتظم، صح اختصاصه بالصفة التي من اختص بها كان عالما، فوجب كونه تعالى عالما.

فإن قيل: ولم قلت إن القدم تعالى قد صح منه الفعل المحكم المنسق المنتظم؟ قيل له: لما قد بيناه فيما مضى من جعله التراب نطفة، والنطفة علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظاما، ثم إنشاؤه إياها، يعني خلقا آخر، ولما علمنا من حسن خلقه وتركيبه للنجوم والأفلاك، وتسخيره الرياح والسحاب، وتقديره الشتاء والصيف وغير ذلك مما يتعذر عده، ولا يمكن حده.

[الحي]

فإن قيل: وما الدليل على أنه حي؟

قيل له: الدليل على ذلك أنا وجدنا في الشاهد موجودا، يتعذر كونه عالما قادرا، ويستحيل ذلك فيه، وموجودا لا يتعذر ذلك منه ولا يستحيل، فوجب أن يكون الموجود الذي يصح ذلك فيه ولا يستحيل، مختصا بصفة يفارق بها الموجود الذي يستحيل ذلك فيه، ولا يصح في الحي والمختص بتلك الصفة، فإذا صح ذلك ثبت ذلك، وثبت أن القدم تعالى قد صح كونه عالما قادرا، ولم يستحل ذلك فيه، صح اختصاصه بتلك الصفة، وإذا صح ذلك ثبت كونه حيا.

[السميع البصير]

فإن قيل: وما الدليل على أنه سميع بصير؟

قيل له: الدليل على ذلك أنا وجدنا في الشاهد من كان حيا، وارتفعت عنه الآفات، وجب كونه سميعا بصيرا مدركا للمدركات، ولم يكن الموجود لكونه كذلك أكثر من أنه حي لا آفة به، فإذا ثبت ذلك وثبت أن القدم لا آفة به، ثبت أنه سميع بصير مدرك للمدركات.

[القديم]

فإن قيل: فما الدليل على أنه قديم؟

قيل له: الدليل على ذلك أنه لا يخلو من أن يكون معدوماً أو موجوداً، أو محدثاً أو قديماً، وقد ثبت أنه لا يجوز أن يكون معدوماً، لأن المعدوم يستحيل أن يكون عالماً قادراً حياً، وقد دللنا على وجوب كونه عالماً قادراً حياً، ولا يجوز أن يكون محدثاً، لأنه لو كان محدثاً لوجب أن يكون له صانع، وكان القول في صانعه كالقول فيه، وهذا يؤدي إلى إثبات صانعين محدثين لا نهاية لهم، وذلك محال، فثبت أنه تعالى قديم.

[نفي المعاني في حق الله تعالى]

فإن قيل: فهل تقولون أن الله عالم يعلم؟ وقادر يقدر؟ وحي بحياة؟ وسميع بسمع؟ وبصير ببصر؟ وقديم بقدم؟ أم تقولون إنه عالم لنفسه وقادر لنفسه؟!

قيل له: لا نقول إنه عالم بعلم، وكذلك القول في سائر الصفات لمعاني هي: العلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والقدم، لم تخل هذه المعاني من أن تكون قديمة؟ أو محدثة؟ أو معدومة؟ ولا يجوز أن تكون معدومة، لأن المعدوم لا نوجب أن يكون له حكم.

ولا يجوز أن تكون محدثة، لأنها لو كانت محدثة لوجب أن يكون القديم تعالى قبل حدوثها غير عالم، ولا قادر، ولا حي، ولا سميع، ولا بصير، ولا موجود. وإن^(١) لم يكن قادراً ولا عالماً ولا حياً ولا سمياً ولا بصيراً ولا موجوداً، لم يصح منه إحداث هذه المعاني.

ولا يجوز أن تكون قديمة، لأنها لو كانت قديمة لوجب أن تكون أمثال القديم تعالى وأشباهه، لأن كون القديم قديماً من أخص أوصافه، وما يشارك الشيء في أخص

(١) لعلها: وإذا.

أوصافه، وجب أن يكون مثله شبهه، فبطل بهذا أن يكون القدم تعالى موصوفا بهذه الصفات لمعاني، وثبت أنه قادر لنفسه، وعالم لنفسه، وبصير لنفسه، وقدم لنفسه. وإذا ثبت أنه عالم لنفسه، وجب أن يكون عالما بجميع المعلومات، إذ حكمه تعالى مع جميعها حكم واحد، وقد دل الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [برسف: ٧٦]. فأخير أن كل عالم يعلم فوقه عالم، فوجب أن يكون القدم تعالى عالما لا يعلم، وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ ۝﴾ [النساء: ١٦٣]. لا يوجب إثبات العلم به، لأن معناه أنزله عالما به.

[تنزيه الله عن شبه الخلق]

فإن قيل: فهل يجوز عندكم أن يكون القدم يشبه شيئا من الأشياء؟
قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه لو أشبه شيئا، لكان محدثا، لأن الذي يشبه المحدث يجب حدوثه، وقد دللنا على أنه تعالى قدم، وكل ما ذكرناه قد ورد به الكتاب، ونطق به القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٠، الفتح: ٢٦]. وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۝﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝﴾ [النساء: ١٣٤]. وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [برسف: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ [النورى: ١١]. وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝﴾ [إرم: ٦٥]. أي: مثلا ونظيرا.
وقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإحلام: ١٤].

[تنزيه الله عن الحلول في الأماكن]

فإن قيل: فهل يجوز على القدم تعالى الكون في شيء من الأماكن؟
قيل له: معاذ الله! بل ذلك محال لأن الكون في المكان يكون على أحد وجهين: أحدهما: ككون الأجسام في الأماكن، وذلك لا يكون إلا بالمجاورة، وذلك دليل المحدث.

والثاني: كحلول^(١) الأعراض في المحال، وذلك أيضا دليل الحدوث، لأن الحلول لا يكون إلا بالحدوث.

ألا ترى أن ما استحال فيه الحدوث، استحال فيه الحلول! فإذا كان الكون في الأماكن لا يكون إلا على هذين الوجهين، وكان كل واحد منهما يدل على حدوث الكائن، وجب القضاء بأن القدم تعالى لا يجوز أن يكون في شيء من الأماكن وإذا ثبت هذا ثبت أنه يستحيل عليه تبارك وتعالى القول، والصعود، والانتقال، والاستقرار.

فإن سأل سائل: عن معنى قول المسلمين إن الله تعالى بكل مكان؟

قيل له: معناه أن الله تعالى حافظ لكل مكان، ومدير له.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؟

قيل له: معنى^(٢) الاستواء: هو الاستيلاء^(٣) والغلبة^(٤). وذلك مشهور في اللغة، والعرش قد يراد به الملك، وذلك مما لا يختلف فيه أهل اللغة.

(١) في المخطوطة: كحول. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: معناه. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوطة: الإستال. مصحفة.

(٤) الإستواء في اللغة على وحوه منها:

الإعتدال.

قال بعض بني محم:

فاستوى ظالم العشرة والمظلوم

أي: اعتدلا.

التمام.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [النمل: ١٠].

أي: ثم.

الفصل إلى الشيء.

قال تعالى: ﴿لَمْ أَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ فُتُونَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [إسراء: ١٦٩].
الاستيلاء على الشيء.

قال الأعطل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

وقال آخر:

إذا ما علونا واستويتنا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

ومنه قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [إسراء: ١٧٠].

وهو قول عامة الموحدين من أهل البيت الزيدية، والجعفرية، والمعتزلة، والأباضية، والأشاعرة، خلا الطائفة الجهمية.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات في مادة سوا: الاستواء متى عُدِّي بعلی اقتضى معنى الاستيلاء. كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [إسراء: ١٧٠]، وقيل: معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض، أي: استقام الكل على مراده بنسبة الله تعالى إليه، كقوله: ﴿لَمْ أَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ فُتُونَهُنَّ﴾ [إسراء: ١٦٩]، وقيل: معناه استوى كل شيء في النسبة إليه، فلا شيء أقرب إليه من شيء، إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحائلة في مكان دون مكان، وإذا عُدِّي بلى اقتضى معنى الإنهاء إليه، إما بالذات، أو بالتدوير، وعلى الثاني قوله: ﴿لَمْ أَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [صافات: ١١]. المفردات/ ٤٣٩ - ٤٤٠.

وقال الإمام زيد بن علي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [إسراء: ١٧٠]. معناه: علا وقهر، والعرش: العزة والسلطان. تفسير غريب القرآن/ ٢٠٣.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ١٩٢) عند تأويل قوله تعالى: ﴿لَمْ أَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ﴾: والعجب ممن أنكر المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله الله: ﴿لَمْ أَسْتَوِ إِلَى السَّمَاءِ﴾ الذي هو بمعنى: العلو والإرتفاع. هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إلى أن تأويله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم يسجن محاربا منه، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: ﴿لَمْ أَسْتَوِ﴾: أقبل، أفكان مدبرا عن

السما فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير. قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كونه ذلك من جهة الحس. الفتح ٦ / ١٣٦.

وقال أبو الحسن الأشعري: وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء مزمها عن الماسة والإستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهرون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء، إلى تقوم الشرى، فوقية لا تزيد قربا إلى العرش والسما، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من جبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد. الإبانة ص (٢١)، تحقيق الدكتور فؤاد حسين محمود طبع دار الأنصار القاهرة.

وللعلم فإن هذه القطعة من الإبانة مخدوفة من أكثر نسخ الإبانة التي طبعتها بحسمة العصر، والموجودة في الأسواق وبأيدي الناس.

وقال أبو المعالي عبد الملك الجويني الشافعي الأشعري في كتابه الإرشاد: (وذهبت الكرامية — وهي فرقة غالية في التحميم تنسب إلى محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٢٥ هـ — وبعض الحشوية إلى أن الباري — تعالى عن قولهم — متحيز مختص بجهة فوق، تعالى الله عن قولهم، ومن الدليل على فساد ما استحلوه... إلى أن قال: فإن استدلووا بظاهر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فالوجه معارضهم بإيساعدوننا على تأويلها، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَتَىٰ مَا كُنْتُمْ بِإِلَهِيهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَتَمَنَّ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [إرم: ٢١]. فساألهم عن معنى ذلك؟ فإن حملوه على كونه — معنا — بالإحاطة والعلم، لم يمتنع منا حمل الإستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة، إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك، واستعلى على الرقاب. وفائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم المخلوقات في ظن الرعية، فنسب تعالى عليه تنبيهها بذكره على ما دونه.

فإن قيل: الإستواء بمعنى الغلبة ينشأ عن سابقين مكافحة ومحاولة؟

قلنا: هذا باطل، إذ لو أنبأ الإستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر!!!

ثم الإستواء بمعنى الاستقرار بالذات ينشأ عن اضطراب واعوجاج سابق، والتزام ذلك كفر. ولا يبعد حمل الإستواء على قصد الإله إلى أمر في العرش، وهذا تأويل سفيان الثوري رحمه الله، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿لَمَّا اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [ص:١١]، معناه: قصد إليها. الإرشاد / ٩٥ - ٦٠.

وروى مسلم في صحيحه (٤ / ٦١) وغيره: اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك - يعني تحتك - شيء.

قال البيهقي في الأسماء والصفات / ٤٠٠: واستدل بعض أصحابنا بهذا الحديث على نفي المكان عن الله تعالى، فإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان.

وقال ابن حجر في الفتح (١ / ٥٠٨) عند شرح حديث: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يزيق أحدكم قَبْلَ قبلته...). الحديث. قال ابن حجر: وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته.

وقال الطحاوي في متن الطحاوية / ١٥: تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

والمهمة تورد شبهة مفادها: إذا قلتم إن معنى ﴿اسْتَوَىٰ﴾: قهر واستول يقتضي الغلبة، ومعنى هذا أن الله تعالى لم يكن قاهرا ولا مستوليا ولا غالبا ثم صار كذلك.

فنقول: ليس الأمر على ما توهم المهمة، فإن الله يقول عن يوم القيامة: ﴿لَمَّا اسْتَلَكْ أَتَيْتُمْ﴾

[امر: ١٦]. فهل يعني هذا أن الملك قبل ذلك اليوم كان لغمر الله تعالى ١١٩

وبعد هذا كله فالله سبحانه يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَئٍ لِّشَيْءٍ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ بِمَهْمَةٍ وَلَا خَشَعَةٍ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ وَلَا أَذْنٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَصْفَرٍ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَلَمِنْ مَا كَانُوا﴾ [الحج: ١٧]، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [إمد: ٢٠]

١. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْآرِبِ﴾ [إد: ١٦]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [هـ: ٨٥]. ويقول النبي صلى الله عليه وآله: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

أخرجه مسلم برقم (٧٤٤)، والنسائي (١١٢٥)، وأبو داود (٧٤١)، وأحمد (٩٠٨٣).

ولعل المهمة تتوهم من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهُمْ فِي الْغَمِّ﴾ [الشك: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [طه: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَأْفَتِكَ إِلَيْهِ﴾ [إلا عمر: ٥٥]، وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمُنَافِقَةِ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [الدرج: ١]، أن الله سبحانه وتعالى موجود في السماء! وذلك من قلة معرفتهم باللغة العربية.

وإنما معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهُمْ فِي الْغَمِّ﴾: مَنْ شَأْنُهُ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ. لأن العرب إذا أرادت أن تعظم شيئا وصفته بالعلو، فتقول: فلان اليوم في السماء. وتقول: في المقارنة: كما قال عمرو بن العاص:

وَأَيْنَ الثَّرِيَا وَأَيْنَ الثَّرَى وَأَيْنَ مَعَاوِيَةَ مِنْ عَلِيٍّ

والثريا نجم عال في السماء. أو يكون المراد به جويل عليه السلام أو أي ملك يرسله الله ليخسف بهم، لأن السماء مسكن الملائكة.

قال القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية: وقيل: تقديره: أأنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته، وخس السماء وإن عم ملكه تنبيه على أن الإله الذي تنفذ قدرته في السماء، لا من يعظمونه في الأرض.

وقيل: هو إشارة إلى الملائكة.

وقيل: إلى جويل وهو الملك الموكل بالعذاب. ويحتمل أن يكون المعنى: أأنتم عالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون.

ومعنى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [طه: ١٠]: يقبله. قال أبو حيان: وصعود الكلام إليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى إليه، لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود، لأن الصعود يكون من الأجرام، وإنما ذلك كتابة عن القبول. البحر المحيط ٨ / ٣٠٣.

وكما قال تعالى في مهاجرة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهْلِكٌ إِلَيْكَ رَيْقٌ﴾ [مكوت: ١٤] أي: متوجه إليه. أو إلى الموضع الذي أمرني به.

وقال القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية: والصعود هو الحركة إلى فوق، وهو العروج أيضا. ولا يتصور ذلك في الكلام لأنه عرض، لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله، لأن موضع الثواب فوق.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤١٦: قال البيهقي: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول، وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء ...

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [المرسل: ٥٥] رافعك إلى السماء الثانية، كما جاء في البحاري بـرقم (٣٣٦)، ومسلم (٢٣٨) في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجد عيسى عليه السلام في السماء الثانية.

وقال القرطبي في تفسير الآية: وقال الحسن، وابن جريج: معنى متوفيك قابضك، ورافعك إلى السماء من غير موت، مثل توفيت مالي من فلان أي: قبضته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. قال القرطبي: في تفسيره عند تفسير الآية: ترجع إليه: إلى المكان الذي هو محلهم في السماء، لأنها محل بره وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصافات: ١١٩]. أي: إلى الموضع الذي أمرني. والعرش: هو الملك.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَمِيَّةٌ﴾ [الحج: ١٧]. أي: أمره، من الحساب، وإدخال المؤمنين الجنة، والمجرمين النار.

قال الإمام الهادي عليه السلام: ثمانية أصناف من الملائكة، أو ثمانية ملائكة، أو ثمانية آلاف.

والكرسي: هو العلم.

قال في لسان العرب في مادة كرس: كَرَسَ الرجل إذا ازدحم علمه على قلبه، والكراسة من الكتب، سميت بذلك لتكرسها.

وقال: وفي التوراة ﴿وَسَبَّحُ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ٢٠٠]. في بعض التفاسير: الكرسي العلم. وفيه عدة أقوال.

قال ابن عباس: كرسيه علمه...

وقال قوم: كرسي قدرته التي بها يملك السماوات والأرض.

قالوا: وهذا كقولك: اجعل لهذا الخياط كرسيًا. أي: اجعل له ما يعمده ويمسكه.

قال: وهذا قريب من قول ابن عباس.

أقول: والكرسي: هو العالم. والكراسي: العلماء.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

ولا تكثر علم الغيب علوق

أي: ما تعلم.

وقال آخر:

تغف بهم يفض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب.

أي: علماء.

قال في ضياء العلوم المختصر من شمس العلوم لمحمد بن نشوان الحميري: (ومنه قيل للعلماء كراسي. واستشهد بالبيت.

وقيل: الكرسي الملك.

قال أسعد تبع يذكر بلقيس:

ولقد بنت لي عمق في مأرب عرشا على كرسي ملك متلد

ذكره في متعيات في أخبار اليمن من شمس العلوم لنشوان الحميري/ ٩٢.

وذكره أيضا في كتابه ملوك حمير وأقبال اليمن/ ٨٦.

وقد ذكرت المحسنة أحاديث مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمحجها الأسماع وتنفر عنها الطباع، منها ما أخرجه الحاكم (٢ / ٢٨٢)، وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع (٦ / ٣٢٣)، وقال رجاله رجال الصحيح.

قالوا: روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: التنزيل ﴿ وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ أَلَسْمَنَوْتَ وَالْأَرْضُ ﴾. قال: كرسيه موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره (١١١١)

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا (١١١١)

أقول: وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسما والصفات عن ابن عباس: التنزيل ﴿ وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ أَلَسْمَنَوْتَ وَالْأَرْضُ ﴾. قال: كرسيه علمه. ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا تُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا ﴾ [إبره: ١٥٥]. الدر المنثور ٢ / ١٦.

فإن قيل: فما تقولون في معنى قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهُهُ ﴾ [الزعر: ٨١] ؟

قيل له: معناه: أنه هو الذي يستحق العبادة، يستحق أن يعبد في السماء والأرض،
لأن الإله هو الذي يستحق العبادة، وهذا مشهور متعارف في ألفاظ الناس.
ألا ترى أنهم يقولون: فلان أمير في بلد كذا، وبلد كذا. وفلان قاض في بلد كذا،
وبلد كذا؟ ولا يريد أنه كائن في البلدان لأن ذلك يستحيل، وإنما يراد أن الأم له
والقضاء في هذه له، فقد صح ما ذكرناه من التأويل.

وقال الإمام الهادي عليه السلام في كتابه تفسير العرش والكرسي: فمما نتج به عليكم ما ذكره الله
سبحانه في هذه الآية من قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ ﴾ [الحق: ٢٥٥]. فأخبر الله سبحانه أن كرسه قد وسع السماوات والأرض، يريد عز وجل:
أن هذا الكرسي اشتمل على السماوات السبع فأحاط بأقطارها، وكذلك اشتمل على الأرضين
السفلى فأحاط بأقطارها أيضاً، فصار الكرسي مشتملاً على السماوات السبع عالياً فوقها واسعا لها
... إلى قوله: وسأذكر لك في إحاطة الكرسي بالأشياء عموماً مذكوراً عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم، وذكر عن أبي ذر الغفاري رحمة الله عليه أنه قال: « يا رسول الله أي آية أنزلها الله تبارك
وتعالى عليك أعظم؟

قال: آية الكرسي. ثم قال: يا أبا ذر ما السماوات والأرض عند الكرسي إلا كحلقفة ملقاة في
فلاة... إلى قوله: وأعلم رحمت الله، أن هذا الكرسي مثل ضربه الله لعباده ليستدل به العباد على عظمة
الله تبارك وتعالى، وإحاطته بالأشياء واتساعها ... » إلخ كلامه.

والحديث أخرجه ابن جرير، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن
أبي ذر. الدر المنثور ١٧ / ٢ .

ولم أنقل أسئلة أئمة وعلماء الزيدية، والمعتزلة، والجعفرية، والأباضية. لأن مذهبهم في هذا معروفة
ومستفقة، وإنما اعتمدت على أقوال الأشاعرة والمحدثين للإحتجاج بما على الخمسة الذين يدعون
متابعتهم.

والموضوع متشعب ويحتاج إلى دراسة وافية مفردة، وأنا أعمل في ذلك أرجو من الله التيسير والعون.

[الرؤية]

فإن قيل: فهل تقولون إن الله تعالى يُرى بالأبصار؟
 قيل له: لا نقول ذلك، بل نحيله، والدلالة على ذلك، قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. والإدراك بالأبصار هو الرؤية بالبصر عند أهل اللغة، فكأنه قال تبارك وتعالى: لا تراه ("، فثبت لذلك صحة ما ذهبنا إليه، من نفي الرؤية عن الله عز وجل (").

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون تعالى يُرى في الآخرة، لأنه ليس فيها نفي الرؤية في الآخرة؟

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه تعالى مدح نفسه بنفي الرؤية عنها، فيجب أن يكون إثباتها نقصاً، والنقص لا يجوز على الله تعالى في الآخرة، ولا في الدنيا.

(١) في المخطوطة: أي لا يراه. ولعله تصحيف.

(٢) عن أنس رضي الله عنه:

«أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرُّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول:
 يا مَنْ لا تراه العيون، ولا تغالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيِّره الحوادث ولا ينفِش الدوائر،
 يعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه
 الليل وأشرف عليه النهار، وما توارى منه سماءٌ سماءٌ ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما
 في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه.
 فوكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأعرابي رجلاً، فقال: إذا صلى فأتني به، فلما صلى أتاه،
 وقد كان أهْدِي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهبٌ من بعض المعادن، فلَمَّا أتاه الأعرابي وهب
 له الذهب، وقال: مَن أَنتَ يا أعرابي؟ قال: من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله، قال: هل تدري لم
 وهبت لك الذهب؟ قال: للرحم بيننا وبينك يا رسول الله، قال: إن للرحم حقاً، ولكن وهبت لك
 الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل...»

قال الحافظ الميمني في ((مجمع الزوائد)) (١٥٨/١٠): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال
 الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة.

فإن قيل: فما الفصل بينكم وبين من قال: إن الله تعالى يجوز أن يرى، واحتج بقوله: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾: ﴿النبأ: ٢٢-٢٣﴾. كما استدلتم على نفي الرؤية، بقوله: ﴿تعالى﴾: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ﴾: ﴿الأنعام: ١٠٣﴾؟

قيل له: إن النظر بالعين ليست حقيقة الرؤية، بل حقيقة الرؤية تقلب الحدقة في جهة المرئي طلباً لرؤيته، وإذا كان هذا هكذا، فظاهر الآية لا تدل على إثبات الرؤية، وتأويلها ما روي عن المفسرين، وهو: أنه إنما أراد به انتظار الثواب، عند أهل اللغة يجوز أن تقول: ناظرة إلى الله، بمعنى ناظرة إلى ثوابه، على ضرب من التوسع، وأراد انتظاره الثواب، والنظر إليه، لأن النظر بمعنى الإنتظار مشهور عند أهل اللغة. ويجوز أن يقال ناظر إلى الله، بمعنى ناظر إلى ثوابه، على ضرب من

(١) في المخطوطة: لقوله. والصبوب ما أثبت.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير، عن أبي صالح رضي الله عنه في قوله: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾: ﴿النبأ: ٢٢﴾، قال: حسنة: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾: ﴿النبأ: ٢٣﴾، قال: تنتظر الثواب من رها. وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾: ﴿النبأ: ٢٣﴾، قال: تنتظر منه الثواب. الدرر ٣٦٠/٨. وهو في تفسير الإمام زيد في سورة القيامة.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٥٨/١٣: وقد أخرج عبد بن حميد عن عكرمة من وجه آخر إنكار الرؤية ... ثم قال: وأخرج بسند صحيح عن مجاهد: ﴿نَاطِرَةٌ﴾. تنظر الثواب. وعن أبي صالح نحوه، وأورد الطبري الاختلاف.

وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده الصحيح ص (٢٢٦)، (٢٢٨)، عن علي عليه السلام من طريق أبي معمر السعدي، وعن ابن عباس من طريق الضحاك بن قيس، وسعيد بن جبور، وعزاه إلى مجاهد، ومكحول، وإبراهيم، والزهرى وسعيد بن جبور، وسعيد بن المسيب.

وهو في تفسير الميزان للطباطبائي عن الإمام عي بن موسى الرضى قال: يعني مشرقة تنتظر ثواب رها. قال: ورواه في التوحيد، والإحتجاج، والمجمع عن علي عليه السلام ١١٦/٢.

وهو قول القاسم الرسي في كتاب العدل والتوحيد.

التوسع، كما قال الله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدَيْنِ ۖ ﴾ [الصافات: ١٩٩]. أي: إلى حيث أمر ربي، فأما الأخبار المروية في إثبات الرؤية، فإن أكثرها ضعاف^١، وقد بين ذلك العلماء في الكتب المولفة في

(١) الأحاديث الواردة في الرؤية رغم أنها أكثر من عشرين حديثاً إلا أن أكثرها ضعيفة إن لم تكن كسليها، سيّد أن البعض منها إن صح يمكن تأويله بما لا يتناقض مع قدسية الذات الإلهية، وتعالها عن صفات المخلوقين.

فمن جهة السند لا يخلو حديث منها عن مطمن من قبل رجال المرح والتعديل المتمدنين في هذا الفن، وقد جمع السيد محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه العواصم والقواصم الجزء الخامس أكثر الأحاديث في هذه المسألة بأسانيدها، وعند الرجوع إلى كتب المرح والتعديل يستضح للقارئ صحة قول الإمام: أكثرها ضعاف. والإمام محدث كبير ولو لا ضيق المقام لنقلت للقارئ مقالات ومطاعن علماء المرح والتعديل في رجال أسانيد هذه الأحاديث.

هذا من جهة السند.

أما من جهة المتن فالأمر جلل.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل تضآرون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضآرون في رؤية الشمس ليس دولها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها!!! فيأتهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...

البخاري فتح الباري ١٣ / ٣٦١، ومسلم شرح النووي ١٧ / ٣.

وفي رواية أخرى للبخاري الفتح ١٣ / ٣٦٢، ومسلم شرح النووي ٣ / ٢٥. قريبة من الأولى إلا أنه قال في هذه: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه

وتصالي في أذن صورة من التي رأوه فيها. قال: ما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تبعه. قالوا: يا ربنا فارقتا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا — مرتين أو ثلاثا — حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب!!!! فيقول: هل بينكم وبينه آية تضرعون؟ قالوا: نعم. فيكشف عن ساقه، فلا يبقى من كان يسجد لله من لقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا حمل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خسر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة. فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا....

لن أعلق على هاتين الروايتين، فالقارئ الحصيف في غنى عن أي تعليق أو توضيح ليان بطلانها، بيد أنني سأكتفي بإثارة بعض علامات الاستفهام.

فأقول:

— هل الرؤية في موقف الحشر والقضاء؟ كما هو واضح من الروايتين!! أم في الجنة كما في روايات أخرى؟

— هل الرؤية نعيم وجزاء على الأعمال الصالحات، وعلى هذا فهل هي خاصة بالمؤمنين؟ أم عامة للمنافقين والفجار كما تصف الروايتان!!!!

— هل لله تعالى صورة أو صور يتشكل ويتغير فيها بحسب المقامات؟ وهل يجوز ذلك على الذات المقدسة؟

— هل سبق للأمة بما فيها منافقوها وفجارها أن تعرفوا على الله وعلى صورته وساقه في لقاء سابق؟ وإذا صح ذلك!!!! فهل يصح ويجوز من الله تعالى أن يتنكر ويوقع الأمة في حوة منه، حتى ليكاد بعضهم أن يرتد ويكفر بالله؟

— هل دار الآخرة دار ابتلاء وتكليف حتى يختارهم ويمتنعهم فيها؟

— ثم ما هذه الآية والعلامة — ساق — التي اتفق معهم عليها؟ ما علاقة الله تعالى بالساق، وما في هذا الساق من العلامات والآيات الإلهية؟

إن هذه الأسئلة وغيرها الكثير تنتظر الجواب الشافي من ذوي الاختصاص، ومن يهمهم الأمر.

هذا الباب، فإن صح منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم، وذلك غير مستكثر في اللغة^(١).

(١) كما قال الإمام عليه السلام إن صح منها شيء فالمراد بالرؤية هو العلم.

قال أبو بكر الجصاص الحنفي: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأمم: ١٠٣]. معناه: لا تراه الأبصار، وهذا ممدوح بنفي رؤية الأبصار، كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [هبة: ٢٥٥]. وما ممدوح الله بنفيه عن نفسه: إثبات ضده ذم ونقص، ففقر جازئ إثبات نقيضه بحال، كما لو بطل استحقاق الصفة بـ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. لم يبطل إلا إلى صفة نقص، ولا يجوز أن يكون محصوا بقوله: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِنُونَ تَأْخِذُهُ﴾ [النبي: ٢٢-٢٣]. لأن النظر محتمل لمعان منه:

انتظار الثواب كما روي عن جماعة من السلف، فلما كان ذلك محتملا للتأويل لم يجز الاعتراض عليه بما لا مساغ للتأويل فيه، والأخبار المروية في الرؤية إنما المراد بها العلم لو صحت، وهو علم الضرورة الذي لا تشوبه شبهة، ولا تعرض فيه الشكوك، لأن الرؤية بمعنى العلم مشهورة في اللغة. أحكام القرآن ٤/٣ - ٥.

وقال ابن حجر في الفتح ١٣/ ٣٥٩: واختلف من أثبت الرؤية في معناها، فقال قوم: يعمل للرأى العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المراتب، وهو على وفق قوله في حديث الباب (كما تسرون القمر)، إلا أنه مقرر عن الجهة والكيفية، وذلك أمر زائد على العلم. وقال بعضهم: إن المراد بالرؤية: العلم. وعبر عنها بعضهم: بأنها حصول حالة في الإنسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الأبصار إلى المراتب. وقال بعضهم: رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم، إلا أنه أتم وأوضح من العلم، وهذا أقرب إلى الصواب من الأول.

وقال العلامة بدر الدين الحنوي: فأما الروايات فكثير منها ما يمكن تفسيره بمعنى قريب، وهي أن الرؤية فيها مقيدة بكونها كما يرون القمر، والقمر لا يرى إلا شاعره لا حرمه لأن الحرم بعيدا جدا، ولا يرى من بعيد إلا السور، فالعلم إنما تتجلى للمؤمنين عظمتهم وجلاله وحكمته وكرمه ورحمته وجبروته وعزته، بما يشاهدون في القيامة من فضائه سبحانه وتعالى.

ويكون العلم بذلك ضروريا بمحولة العلم بالمشاهدات، واختص بذلك المؤمنون لأن أعداء الله في شغل عن ذلك بأنفسهم كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَيْبَةٍ أَقْمَتٌ فَهُوَ فِي آخِرَةِ أَقْمَتٍ وَأَحْسَنُ سَبِيلًا

﴿...﴾ [١٣٨:١٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَذَابًا وَبُكَاءً وَتَصَافًا مَّاؤُسَهُمْ جَهَنَّمَ كَعُلْمًا حَيْثُ زِدْتَنَّهُمْ سَعِيرًا﴾ [١٣٨:١٧٧]. ووصف الأبرار بضد ذلك فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ [١٣٨:١٧٧]. عَلَىٰ الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾ [الطه: ٢٢-٢٣]. فكانت مشاهدتهم لقضائه، ورؤيتهم لعدله وعزته ورحمته وفضله هي مشاهدة جلاله وعظمته، وكان ذلك معنى رؤيته، لأنه تعالى لم يهمل هذا المعنى من حيث كمال المعرفة والعلم وكونه ضروريا كالعلم بالمشاهدات. تحرير الأفكار / ٣١٥.

وعلاوة على هذا فهذه الروايات أحادية لا يقبل شيء منها في مسائل الاعتقاد، لأنه يشترط في العقيدة العلم واليقين، والآحاد لا تقيد إلا الظن، هذا مع سلامته من المعارضة العقلية والنقلية، فكيف به مع المعارضة لصراح الآيات، وموجبات ودلائل لعقول.

وبإليك نصوص الأئمة والمحدثين والأصوليين في أخبار الآحاد، وألها بما لا يبنى عليه في باب الاعتقاد.

قال الحافظ الخطيب البغدادي في الفقه والمتفقه ١/ ١٣٢:

باب القول فيما يرد به خبر الواحد:

... وإذا روى الثقة المأمون خبرا متصل الإسناد رُدُّ بأمور:

أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه، لأن الشرع إنما يرد بمحموزات العقول، وإما بخلاف العقول فلا.

الثاني: أن يخالف نص الكتاب، أو السنة المتواترة، فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ.

والثالث: يخالف الإجماع فيستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له....

الرابع: أن يتفرد الواحد برواية، يجب على كافة الخلق علمه، فيدل ذلك على أنه لا أصل له، لأنه لا يجوز أن يكون له أصل، ويتفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم... إلخ كلامه.

وقال أيضا في كتابه (الكتابة في علم الرواية) ٤٣٢/

باب ذكر ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه:

خبر الواحد لا يقبل في شيء من أبواب الدين المأخوذ على المكلفين العلم بها والتطلع عليها، والملة في ذلك أنه إذا لم يعلم أن الخبر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أبعد من العلم بمضمونه، فأما ما عدا ذلك من الأحكام التي يوجب علينا العلم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قررها وأخبر عن الله عز وجل ما فإن خبر الواحد فيها مقبول والعمل واجب.

وعقد بابا في كتابه هذا سماه:

[ذكر شبهة من زعم أن عمر الواحد يوجب العلم، وإبطالها].

وقال البيهقي في الأسماء والصفات / ٣٥٧:

ولهذا الوجه من الإحتمال ترك أهل النظر من أصحابنا الإحتجاج بأعبار الآحاد في صفات الله تعالى، إذا لم يكن لما انفرد منها أصل في الكتاب أو الإجماع، واشتغلوا بتأويله.

قال الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد) ٧ / ١:

واختلف أصحابنا وغيرهم في عمر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعا، أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي وجهه أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بحجته قطعا ولا خلاف فيه.

وقال الإمام الشافعي: الأصل القرآن والسنة وقيلس عليها، والإجماع أكرم من الحديث المنفرد .

رواه عنه أبو نعيم في الحلية ٩ / ١٠٥، وأبو حاتم في (آداب الشافعي) ٢٣١، ٢٣٣، والبيهقي في مناقب الشافعي (٢ / ٣٠.

وعليه الإمام البخاري قال في كتاب أخبار الآحاد من صحيحه شرح الفتح ١٣ / ١٩٦: باب ما جاء في إجازة عمر الواحد الصدوق، في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه عليه: وقوله: والفرائض بعد قوله: في الأذان والصلاة والصوم، من عطف العام على الخاص، وأفرد الثلاثة بالذكر للإهتمام بها، قال الكرمان: ليعلم إنما هي في العمليات لا في الاعتقادات.

وقال النووي في شرحه على مسلم ١ / ١٣١:

وأما عمر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط التواتر، سواء كان الراوي له واحدا أو أكثر، واختلف في حكمه فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: أن عمر الواحد الثقة حجة من حجاج الشرع يلزم العمل بها، وينفي الظن ولا يفيد العلم ...

وقال عبد القاهر البغدادي في كتابه أصول الدين / ١٢:

وأخبار الآحاد من صح إسناده وكانت متولها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم.

وهو قول المحافظ ابن حجر أيضا انظر شرح نغية الفكر ص (٢٥ - ٢٦).

وقال ابن تيمية في منهاج السنة ١٣٣ / ٢ :

الثاني: أن هذا من أخبار الآحاد فكيف يثبت به أصل الدين الذي لا يصح الإيمان إلا به.

قال الإمامان ابن السبكي في جمع الجوامع والمجلي في شرحه: (عبر الواحد لا يفيد العلم إلا بقرينة) كما في إخبار الرجل بموت ولده المشرف على الموت، مع قرينة البكاء، وإحضار الكفن والنعش.

(ر) قال (الأكثر لا) يفيد (مطلقا). جمع الجوامع لابن السبكي بشرح جلال الدين المحلي مع حاشية ابن قاسم العبادي ج ٣ ص ٢١٥.

وفي تنقيح ابن الحاجب وشرحه (التوضيح) ما نصه: والثالث — ويعني به الخبر الآحادي — يوجب عليه الظن إذا اجتمع الشرائط التي نذكرها إن شاء الله تعالى، وهي كافية لوجوب العمل لأنه لا يوجب العلم ولا عمل إلا عن علم... إلى أن قال: والعقل يشهد أنه لا يوجب اليقين. التوضيح على التنقيح / ٤٣١ - ٤٣٢ هامش حاشية التلويح للسعد التفتازاني، مطبعة مكتب صنايع من طرف الشركة الصحافية العثمانية شوال من سنة ١٣١٠هـ.

وفي حاشية السعد التفتازاني عليهما أن هذا هو قول الجمهور. انظر التلويح للسعد التفتازاني / ٤٣١.

ثم قال: بل العقل شاهد بأن خبر الواحد العدل لا يوجب اليقين، وأن احتمال الكذب قائم وإن كان مرجوحا، وإلا لزم القطع بالتقضيض عند إخبار العدلين بهما. المرجع السابق ص ٤٣٣.

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: اعلم أنا نريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلا فهو خبر الواحد... إلى أن قال: وإذا عرفت هذا فنقول خبر الواحد لا يفيد العلم، وهو معلوم بالضرورة فإننا لا نصدق بكل ما نسمع، ولو صدقنا وقدرنا تعارض خبرين فكيف نصدق بالضدين؟ وما حكى عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم فلمعلمهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علما، ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظاهر. والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن. المستصفي للإمام أبي حامد الغزالي / ١ / ١٤٥ طبعة بولاق.

وفي فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور ما نصه: الأكثر من أهل الأصول ومنهم الأئمة الثلاثة على أن غير الواحد، إن لم يكن هذا الواحد المخير معصوما نبيا، لا يفيد العلم مطلقا، سواء اختلف بالقرآن أو لا ... إلى أن قال: لو أفاد غير الواحد العلم لأدى إلى التناقض إذا أعير عدلان بمختلفين ... ثم قال: وذلك أي إخبار العدلين بمختلفين جائز بل واقع، كما لا يخفى على المستقرئ في الصحاح والسنن والمسانيد. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت المطبوع بذييل المستنصفي ٢/ ١٢١.

وقال الإمام محمد عبده في إحدى فتاواه: ولو أراد مبتدع أن يدعو إلى هذه العقيدة، فعليه أن يقيم عليها الدليل الموصول إلى اليقين، إما بالمقدمات العقلية البرهانية، أو بالأدلة السمعية المتواترة، ولا يمكنه أن يستخذ حديثا من حديث الأحاد دليلا على العقيدة، مهما قوي سنده، فإن المعروف عند الأئمة قاطبة أن أحاديث الأحاد لا تقيد إلا الظن ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَجْعَلُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ﴾ (المائدة: ١٠٨). من فتوى للإمام محمد عبده نقلها القاسمي في تفسير سورة الأحزاب من تفسيره محاسن التأويل ١٣/ ٤٩٢٠ طبع عيسى البابي الحلبي وشركائه.

وقال العلامة السيد محمد رشيد رضا: إن بعض أحاديث الأحاد تكون حجة عند من ثبتت عنده وأطمأن قلبه لها، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها، ولذلك لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يكتبون جميع ما سمعوه من الأحاديث ويدعون إليها، مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به، وبالسنة العملية المستبعدة المبينة له إلا قليلا من بيان السنة، كصحيفة علي كرم الله وجهه، المشتمة على بعض الحكماء كالديلمية، وفكاك الأسور، وتغريم المدينة كمكة، ولم يرض الإمام مالك من الخلفيتين المنصور والرشد أن يحملا الناس على العمل بكتبه حتى الموطأ، وإنما يجب العمل بأحاديث الأحاد على من وثق لها رواية ودلالة. المنار ١/ ١٣٨ الطبعة الرابعة.

وإذا كان هذا موقف حجية الأحاديث في الأمور الفرعية العملية فكيف بالإعتقاد؟ بل كيف تكون حجته مع معارضته للقطعي المتواتر؟ وقد قال هذا الإمام نفسه: وإذا كان من علل الحديث المانعة من وصفه بالصحة مخالفة روايته لغيره من الثقات، فمخالفة القطعي من القرآن المتواتر أولى بسلب وصف الصحة عنه. المرجع السابق ٨٥ - ٨٦.

ولهذا ردت عائشة كثيرا من الأحاديث التي كان يروونها بعض الصحابة لمخالفتها للقرآن وموجبات العقول.

ردت حديث من ادعى أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه، وهو أنس وغيره.

روى ابن حجر في الفتح ٨ / ٤٩٤ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت ربي. وقبله في نفس الصفحة أن ابن عزيمة روى بإسناد جيد عن أنس قال: رأى محمد ربه.

فردت ذلك كما في البخاري فتح ٨ / ٤٩٢، ومسلم بشرح النووي ٨ / ٣ عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنهما: يا أمته، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: (لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ...﴾ [النور: ١٥١].

فها هي أم المؤمنين ترد الخبر الآحادي المخالف لصريح القرآن وتكذب من رواه.

وروى البخاري (فتح ٣ / ١٥١ - ١٥٢)، ومسلم (٢ / ٦٣٨ - ٦٤٢) أن عمر وابنه عبد الله رويما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه». فردت ذلك عائشة كما في صحيح مسلم (٦ / ٢٣٥). فقالت: يفر الله لأبي عبد الرحمن. أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهودية يئكي عليها فقال: «إنهم ليكون عليها، وإنما تعذب في غيرها». وفي رواية أخرى لمسلم قالت: «لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد ثم قالت: حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النور: ١٨].»

وروت أيضا حديث أبي هريرة.

روى أبو داود الطيالسي (ص ٢١٥) عن مكحول قيل لعائشة: إن أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الشوم في ثلاث في الدار والمرأة والفرس». فقالت عائشة: لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «قاتل الله اليهود بقولون: إن الشوم في ثلاث في الدار والمرأة والفرس». سمع آخر الحديث ولم يسمع أوله.

ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [الفرقان: ٤٥]. يريد: ألم تعلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [النمل: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ سَكَنَاتًا رَتَقْنَا فَتَفَتَّقْنَاهُمَْا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فبان ^(١) هذه الآيات صحة ما ادعيناه من الرؤية، وقد تكون بمعنى العلم ^(٢).

[الله واحد]

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى واحد؟

قيل له: الدليل على ذلك، أنه لو كان معه ثاني لصح بينهما التمانع، وصحة التمانع تقضي عليهما، أو على أحدهما بالعجز والضعف، لأن التمانعين إذا تمانعا، يمنع كل واحد منهما صاحبه، أو يكون ^(٣) أحدهما يمنع صاحبه، فإن منع أحدهما صاحبه، وجب القضاء بالضعف على المنوع، وإن منع كل واحد منهما صاحبه، وجب القضاء عليهما بالضعف، والإله لا يكون ضعيفا، فثبت أنه واحد لا ثاني معه. وقد نبه الله تعالى على معنى هذا الدليل بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا ابْتِغَاؤُا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢]. ويقول تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ إِلَهٍ أَلَا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. ويقول: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(١) في المخطوطة: فبات. مصحفة.

(٢) لعل العبارة هكذا: ما ادعيناه من الرؤية بمعنى العلم.

(٣) لعل كلمة (يكون) زائدة.

[القرآن]

فإن قيل: فما قولكم في القرآن؟

قيل له: نزعم أنه كلام الله، ووحيه ومستزله، وأنه مخلوق، والدليل على ذلك أنه محدث، ولا محدث له إلا الله، وما أحدثه الله تعالى، فيجب أن يكون مخلوقاً.

فإن قيل: ولم قلتم إنه محدث؟

قيل له: لأنه سور مفصلة، وله أول وآخر، ونصف وثلاث وسبع، وما كان كذلك فيجب أن يكون محدثاً، لأن كل ذلك شيء يستحيل على القدم تعالى، وأيضاً فإننا قد بينا فيما تقدم من هذا الكتاب أن ما شارك القدم تعالى في كونه قديماً فيجب أن يكون مثلاً له، وقد بينا أن الإله لا مثل له، فوجب أن لا يكون القرآن قديماً، وإن لم يكن قديماً فوجب حدوثه، وقد قال الله تعالى وجل ذكره: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ﴾ [الشعراء: ٥]. والذكر هو القرآن. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُم لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ؟



[باب العدل]

[الإرادة]

اعلم أن أفعال القدم تعالى تحسن لوقوعها على وجه، لا تقع عليه ^(١) إلا إذا كان القدم تعالى مريداً، والذي يدل على ذلك، أنه تعالى قد ثبت أنه أمر ومخير ^(٢)، وقد ثبت أن الأمر لا يكون أمراً إلا بأن يكون مريداً للمأمور به، والمخير ^(٣) لا يكون مخيراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف مخيراً، فإذا ثبت ذلك ثبت أن القدم تعالى مريد.

فإن قيل: ولم قلت إن الأمر لا يكون أمراً إلا إذا كان مريداً للمأمور به، والمخير لا يكون مخيراً إلا إذا أراد إيقاع الحروف مخيراً؟

قيل له: إنما قلنا ذلك لأن لفظ الأمر يصلح للتهديد كما يصلح للأمر ^(٤)، فلا بد من وجه ما، له يكون الأمر ^(٥) أمراً، وليس ذلك الوجه إلا كون الأمر مريداً للمأمور به، لأن سائر الأوصاف والمعاني لا تؤثر في ذلك، وكذلك القول في الخير، لأن الخير عن زيد بن عبد الله، مثل الخير عن زيد بن خالد، بل اللفظتان واحدة، فلا بد من أمر ما، له يتعلق كل واحد من الخيرين بمخيره، وليس ذلك غير كون المخير مريداً إيقاع الحروف مخيراً، إذ سائر المعاني والأوصاف لا تؤثر فيه.

فإن قيل: فهل تقولون بأنه تعالى مريد بإرادة محدثة لنفسه ^(٦)، أو مريد بإرادة محدثة؟ قيل له: نقول إنه مريد بإرادة محدثة ^(٧)، ونحيل القول إنه مريد لنفسه، لأنه لو كان مريداً لنفسه لوجب أن يكون مريداً لجميع الإرادات، [وهذا] يؤدي أن يكون

(١) في المخطوطة: عليها. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوطة: أمراً ومخيراً.

(٣) في المخطوطة: والمخير عنه لا يكون مخيراً. ولعل الصواب حذف كلمة (عنه).

(٤) في المخطوطة: يصلح التهديد كما يصلح الأمر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) في المخطوطة: للأمر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) لعل السؤال هكذا: مريد لنفسه؟ أو مريد بإرادة محدثة.

- (١) اختلف أصحابنا وغيرهم في حقيقة الإرادة الإلهية على أقوال:
- الأول: الوقف في حقيقتها مع اعتقاد أن الله يريد الحسن ويكره القبيح.
- وهذا قول الحسن بن بدر الدين، والهادي بن إبراهيم، والإمام شرف الدين، والمفتي، والجلال.
- الثاني: إرادته في أفعاله فعله، وفي فعل غيره الأمر به، والإيعاز نفس الحر.
- وهذا قول الصادق، والهادي، والقاسم العبادي، والإمام أحمد بن سليمان، والسيد حميدان، وقدم قول الإمام القاسم بن محمد، والنظام، وأبي الهذيل.
- الثالث: إرادته علمه باشتغال الفعل على مصلحة، وكرهته علمه باشتغال على مفسده.
- وهو قول الإمام يحيى بن حمزة، والقول الثاني للإمام القاسم بن محمد، وأبي الهذيل، والنظام، والبلخي، والجاسط، والخوارزمي، ونسبة هذا القول إلى معتزلة بغداد بناء على أن هذا القول والقول الثاني السابق بمعنى واحد. وبيانه: أنه سبحانه يريد لا بإرادة لاستحالة حقيقتها في حقه، وقد ثبت كونه عليهما حكيمًا، فإذا علم كون فعله مشتتلا على المصلحة أوجده من غير تقدم ضمير، فصح إطلاق اسم الإرادة على علمه تعالى، وصح إطلاق اسم الإرادة في حقه تعالى على المراد، لما لم يكن بينه وبين مراده واسطة إرادة.
- الرابع: إرادته معنى حادث موجود لا في محل غير مراد في نفسه.
- وهو قول الموبد بالله، والسيد ما نكنتم، وأبي طالب، والمنصور بالله، والأمير الحسين، والمهدي، وجماعة المعتزلة، كأبي علي، وأبي هاشم، والقاضي، وأبي عبد الله البصري، وغيرهم.
- الخامس: إرادته: معنى قسم قائم بذاته. وهو قول الأشعرية.
- السادس: أن الله يريد لذاته. وهو قول النجارية من المهرية.
- ولمحت أقوال أخرى أعرضنا عنها لسحافتها.
- وأسلم الأقوال فيما أرى القول الأول، وهو ما نطق به القرآن الكريم. وعذري في إيراد هذه المقالات إشارة الإمام إليها، وذكره لمذهبه وإلا فإن الإعراض عن الخوض فيها أسلم. والله تعالى أعلم.

مريداً للضدين في حالة واحدة، وذلك محال، ويجب أن يكون الواحد منا إذا أراد أن يبرز^(١) أموالاً وأولاداً، أن القلم أيضاً مريداً^(٢) لذلك، وهذا فاسد، فثبت بطلان القول بأنه مريد لنفسه، وإذا بطل ذلك ثبت أنه مريد بإرادة محدثة.

[مراد الله من المكلفين الطاعات]

فإن قيل: ما الذي أراد الله تعالى من جميع المكلفين عندكم من الكافر، والفساق^(٣)

قيل له: الذي أراد الله تعالى من جميع المكلفين برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، هو الطاعات، الفرائض منها والنوافل، ولا يجوز أن يريد شيئا من القبائح.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَتَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، والله يريد أن يتوبَ عليكم ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا^(٢)، يريد الله أن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا^(٣)، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(٥)، غافر: [٣١]. فنفى عن نفسه إرادة القبائح، وبين أنه مريد للطاعة، وكذب الله تعالى من أراد إضافة الشرك إلى الله وبخهم على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٦)، [الحج: ٣٥]. وقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَاسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾^(٧).

(١) في المخطوطة: أن يردف. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) غير ليكون. ولعلها: مريد.

(٣) لعلها: الفاسق.

[الأنعام: ١٤٨]. وما يدل على أن الله لا يريد القبائح أنه لو أرادها لوجب أن يكون العصاة مطيعين، وذلك محال، لأن المطيع إنما يكون مطيعاً لوقوعه إذا فعل مراده^(١)، وأيضاً فإن إرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبائح، فثبت أنه لا يفعل إرادة الكفر والفسوق والمعاصي، فإذا لم يفعل إرادتها لم يكن مریداً لها، وليس يلزمنا ما تظنه المجرة من أنا قد حكمنا على الله بالضعف، متى قلنا إنه غير مرید لما^(٢) وجد من القبائح، لأنه إذا وجد ما كان القدم غير^(٣) مرید له، لا يؤثر ذلك في أحواله. ألا ترى أن كل من مضى من اليهود والنصارى إلى الكنائس والبيع، لا يوجب ضعفاً للمسلمين والإمام، وإن كان ذلك غير مراد لهم، لأن ذلك لا يؤثر في أحوالهم.

فإن قيل: أوليس المسلمين قد قالوا ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وهذا خلاف مذهبكم، لأن عندكم أن الله تعالى أراد الطاعات من الكفار، مع أنها لم تكن، وهو غير مرید للمعاصي الكائنة منهم؟ قيل له: إن المسلمين أرادوا بذلك ما يريد الله تعالى من أفعال نفسه، دون أفعال غيره.

ألا ترى أن غرضهم بهذا القول وصف إقراره وثبات امتداحه، وقد علمنا أن وقوع ما يريد الواحد منا من أفعال عبادته، لا يدل على قدرته. ألا ترى أن العبد قد يفعل ذلك مع ضعف سيده، وإنما يدل على اقتدار المرید ما يقع من المراد، إذا كان من أفعاله، فوجب أن يكون غرض المسلمين ما بيناه، فإذا صح ذلك لم يجب له فساد مذهبنا.

(١) لعل هنا سقطاً.

(٢) في المخطوطة: لها. مصحفة.

(٣) في المخطوطة: غيره مریداً له. ولعل الصواب ما أثبت.

فصل

[الله غير مرید للقبائح]

فإن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن الله تعالى لا يفعل شيئاً من القبائح؟
 قيل له: الدليل على ذلك أنه تعالى قد ثبت:

— استغناؤه عن جميع القبائح.

— وكونه عالماً بقبحها.

— وعالم باستغناؤه عنها.

والعالم بقبیح القبیح متى استغنى عنه، لا يجوز أن يختاره على وجه من الوجوه.

فإن قيل: قلّم قلّم إنه سبحانه مستغنى عن جميع القبائح؟

قيل له: لأنه لا يخلو من أن يستحيل عليه عز وجل الشهوة ونفور النفس، أو لا يستحيلان عليه؟

فإن استحالة عليه ثبت استغناؤه عن جميع الأشياء، لأن المحتاج إنما يحتاج إلى إدراك ما يشتهي، أو دفع ما تنفر نفسه عنه، فمن استحالت عليه الشهوة ونفور النفس، استحالت عليه الحاجة. والحي إذا استحالت عليه الحاجة ثبت استغناؤه عن الأشياء. فإن صح عليه الشهوة ونفور النفس — تعالى عن ذلك — استغنى بالحسن عن القبيح، لأن المحتاج ليس يحتاج إلى الشيء على الوجه الذي يقبح دون الوجه الذي يحسن، وإنما يحتاج إليه فقط. وفي كلا^(١) الأمرين ثبوت استغناء القدم تعالى عن المقبحات.

فإن قيل: ولم قلّم إنه عالم بقبیح المقبحات، وعالم باستغناؤه عنها؟

قيل له: قد قدمنا الكلام في أنه تعالى لا يجوز أن يكون عالماً بعلم، وإذا بطل أن يكون عالماً بعلم، ثبت أنه تعالى عالم لنفسه، ومن حكم العالم لنفسه أن يعلم المعلومات كلها، على جميع الوجوه التي يصح أن تعلم عليها.

(١) في المخطوطة: كل. ولعل الصواب ما أثبت.

فإن قيل: فهل تقولون إن ما يقبح عندكم فعله، يقبح من الله تعالى فعله؟
 قيل له: نقول إنه يقبح فعله من القدم تعالى، متى فعله على الوجه الذي إذا فعلناه
 عليه قُبِحَ منا. والذي يدل على ذلك أن الذي يقبح إنما يقبح لصفة ترجع إليه، لا
 لصفة ترجع إلى الفاعل.

ألا ترى أن المؤمن^(١) فيه صفاته الراجعة إليه، مثال ذلك أن الخير يقبح لكونه
 كذباً، فلو خرج عن كونه كذباً لحَسُنَ، وكذلك الضرب، قد يقبح لتعريضه من
 المنافع، فلو حصلت فيه المنافع لحَسُنَ.

فبان بذلك أن الموجب لقبح الفعل هو ما يرجع إلى الفعل من الأحكام، فإذا كان
 ذلك كذلك وجب أن يقبح من القدم تعالى ما يقبح منا، إذا فعله على الوجه الذي
 لكونه عليه قبح منا فعله.

[هل يُعَذَّبُ الله من لا ذنب له]

فإن قيل: فهل يجوز أن يعذب الله أطفال المشركين في الآخرة؟
 قيل له: لهم لا يجوز.

فإن قيل: فما الدليل على ذلك؟

قيل له: لأنه لا يحسن أن يُعاقب إلا من يستحق العقاب، بارتكاب المعاصي، أو
 بالانصراف عن الواجبات، أو بفعل. وقد علمنا أن الأطفال لم يرتكبوا شيئا من
 المعاصي، ولا انصرفوا عن شيء من الواجبات، وقد^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ
 وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧]. وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ
 رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩]. ولا ظلم أقبح من تعذيب الطفل، ولا جناية له
 اكتسبها، ولا جريمة اقترفها، ولا واجبا تركه.

(١) هكذا في المخطوطة، ولعل في الكلام سقطا، والله أعلم.

(٢) في المخطوطة: فقد.

فإن قيل: أليس يحسن من الله تعالى إيلامهم في الدنيا، وكذلك إيلام البهائم، وسائر ما لا تكليف عليه، فما أنكرتم أن يحسن منه تعالى تعذيب أطفال المشركين في الآخرة؟

قيل له: إنما يحسن من الله تعالى إيلام الأطفال والبهائم في الدنيا، لأمرين: أحدهما: أنه استصلاح للمكلفين.

والثاني: أن الله سبحانه وتعالى معروض لهم على ما نالهم من الآلام، وحل بهم من الأسقام، عوضاً يري، والآخرة ليست دار تكليف، فيستصلح بإيلامهم غيرهم، ولا هم يعرضون على ما تلحقهم من الآلام عند من أجاز ذلك، فوجب أن لا يكون حكم تعذيبهم في الآخرة مثل حكم إيلامهم في الدنيا.

[أفعال العباد ليست من خلق الله]

فإن قال قائل: فما الدليل على أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، وأن العباد هم الذين يبدئونها؟

قيل له: الدليل على ذلك بأنها تقع بحسب أحوالهم، ودواعيهم، وهم الذين يستحقون عليها المدح والذم، ثبت تعلقها بهم، ولا وجه يصح من أجله تعلق الفعل بالفاعل إلا الحدوث، فوجب أن تكون هذه الأفعال محدثة من جهة العبيد، دون جهة الله تعالى، فإن أفعالاً غير مخلوقة لله تعالى. وأيضاً فقد ثبت أن من فعل الظلم يكون ظالماً، ومن فعل الكذب يكون كاذباً، ومن فعل العدل يكون عادلاً، ومن فعل الصدق يكون صادقاً، فلو كان الفاعل لها لوجب أن يكون ظالماً بظلمنا، وكاذباً بكذبنا، وعادلاً بعدلنا، وصادقاً بصدقنا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإن قيل: أليس الله يخلق الولد، ولا يكون والداً^(١) والحركة ولا يكون متحرراً؟! وما أنكرتم أن يخلق الله الظلم ولا يكون ظالماً، والكذب ولا يكون كاذباً، والصدق ولا يكون صادقاً به، والعدل ولا يكون عادلاً به؟

(١) سقط من المخطوطة: والداً. وجواب السؤال يقتضيها فائتهاها.

قيل له: ليس يشبه الأمران، لأن الظالم اسم لمن فعل الظلم، والصادق اسم لمن فعل الصدق، فمن فعل الظلم والكذب والعدل والصدق، لا بد من أن يكون ظالماً وكاذباً وعادلاً وصادقاً، والمتحرك ليس اسماً لمن فعل الحركة، بل هو اسم لمن حلته، والوالد^(١) ليس اسماً لمن فعل الولد، وإنما هو اسم لمن وُلِدَ المولود على فراشه، فلا يجب أن يكون مَنْ فَعَلَ الحركة والوَلَدَ متحركاً والداً.

فإن قيل: فهل تقولون إن الإستطاعة قبل الفعل؟

قيل له: نعم. والذي يدل على ذلك أنها لو كانت مع الفعل لكان الله قد كلف عباده ما لا يطيقون، لأنه قد كلف الكفار أن يؤمنوا، فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان الكافر غير مستطيع للإيمان، وقد ثبت أن تكليف ما لا يطاق قبيح، فوجب أن يكون الذي يؤدي إليه من القول فاسداً. وأيضاً فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان من يتوضأ أبداً بالماء، غير قادر على التوضؤ به، ولو كان غير قادر على التوضؤ به، لوجب أن يكون التيمم جائزاً له، لأن المسلمين قد أجمعوا على أن من لم يقدر على التوضؤ بالماء جاز له التيمم، وفي هذا أن الواجد للماء لو صلى طول عمره بالتيمم، أجزاءه!! وأيضاً فلو كانت الإستطاعة مع الفعل لكان يجب أن يكون الإنسان لو أكل الميتة طول عمره لم يأكل إلا المباح، لأن عندهم أن أكل الميتة لا يقدر على أكل غيرها، والمسلمون قد أجمعوا على أن من لم يقدر إلا على أكل الميتة فأكلها مباح، وهذا المذهب أكثر فساداً من أن يحتاج فيه إلى الإكثار.



(١) في المخطوطة: والولد. والصواب ما أثبت.

باب النبوة

إن سأل سائل: فقال ما قولكم في النبوة؟

قيل له: نقول إن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله تبارك وتعالى، إلى كافة خلقه، ونقول إن كل ما أتى به من عند الله فهو حق، وما أخرج به فهو صدق، ويقر بنبوته جميع الأنبياء الذين أخرج الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بنبوتهم، والدليل على ذلك ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الدالة على نبوته، [منها] إشباعه الناس الكثير بالطعام اليسير، ومنها

(١) عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة فأسابنا جهد حتى همنا أن نحر بعض ظهرنا، فأمرني الله فحممنا تزوادنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتناولت لأحرزه كم هو، فحرزته كبرضة المزم وغن أربع عشرة مائة، قال: فاكلنا حتى شبعنا جميعاً ثم حشونا جربنا، فقال لي صلى الله عليه وآله وسلم: فهل من وضوء؟ قال: فحساء رجل بأداة فيها نطفة فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه ندغفقه أربع عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فرغ الوضوء. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الضيافة، في باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت.

وعن جابر بن عبد الله قال: لما حفر الخندق رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمصاً فانكفأت إلى امرأتي فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإن رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمصاً شديداً فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطعتها في برستها ثم ولت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، قال: فحنته فسارته فقلت: يا رسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سواراً فحيهلاً بكم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تولن برمتكم ولا تخزون عيبتكم حتى أجيء، فحنت وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدم الناس حتى جاءت امرأتي فقلت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي، فأخرجت له عيبتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى من برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: ادعي عابرة

إجابة الشجرة له حين دعاها ^(١)، ومنها تسييح الحصى في يده ^(٢)، وغير ذلك مما يكثر عده وإحصاؤه، ومعظم ذلك كله هو القرآن.

فلتعزيز معك، وأقدي من برمتكم ولا تزلوها وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتا لتفط كما هي، وإن عجمتنا لتخبر كما هي. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، في باب جواز استيعابه غيره إلى دار من يثق برضاه.

(١) عن عبادة بن الوليد قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في الحبي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سأل الحديث ... إلى أن قال: ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبد الله رضي الله عنه في مسجده وهو يصلي ... إلى أن قال جابر: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلنا وادياً أبيض، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضي حاجته فأتبعته بأداة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير شيئاً يستر به فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ بفنص من أغصانها، فقال: انتقادي علي يا ذن الله، فانتقادت معه كالبعير المبحوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بفنص من أغصانها، فقال: انتقادي علي يا ذن الله فانتقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنتصف مما بينهما لآم بينهما - يعني جمهما - فقال: التما علي يا ذن الله فالتأمتا ... إلى أن قال جابر: فحانت مني لفظة فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق ... الحديث. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد، في باب حديث جابر الطويل.

وعن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بما أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد إني رسول الله؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمل يزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: ارجع فعاد، فأسلم الأعرابي. أخرجه الترمذي ٢٨٥/٢.

وعن ابن عمر قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فاقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله: أين تريد؟ قال: إلى أهلي، قال: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، قال: ومن يشهد على ما تقول؟ قال: هذه

[إعجاز القرآن]

فإن قيل: ومن أين علمتم أن القرآن معجز؟
 قيل له: إنا قد علمنا ضرورة ذلك أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أتى به،
 وتحدى العرب وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله، فإن العرب لم يعارضوه، وقد
 علمنا أنه لا يجوز أن يكون تركهم للمعارضة إلا للعجز، لأنه قد ثبت حرصهم
 على إبطال أمره، وتوهين شأنه، حتى بذلوا مهجهم وأموالهم، وقتلوا أبناءهم،
 وآباءهم. ومعلوم بكمال العقل أن من تحداه خصمه بأمر من الأمور، وقرعه
 بالعجز عن الإتيان بمثله، فلا يجوز أن يعدل عن الإتيان بمثله، إلى ما هو أشق منه،
 إلا إذا تعذر عليه ذلك، ولا التباس في أن القتال أشق من معارضة الكلام، فلولا
 أنهم عجزوا عن المعارضة لم يجر أن يكونوا قد عدلوا عنها إلى القتال، وثبت بذلك
 عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، فإذا ثبت عجزهم وثبت عجز جميع البشر —
 إذ العرب هم الغاية في الفصاحة والطلاقة — ثبت أن القرآن معجز.
 فإن قيل: وكيف يدل المعجز على أن من أظهر على يديه فهو نبي؟
 قيل له: لأن المعجز كالصدق.

ألا ترى أن من يدعي النبوة يقول: اللهم إني إن كنت صادقاً فاقبل هذه العصا
 حية، وأنطق هذا الذئب، وما جرى مجراه، فإذا فعل ذلك عند ادعائه^(١) غاية
 دعواه، كان ذلك الفعل تصديقاً له، وقد ثبت أن تصديق الكاذب قبيح، وأن الله لا

السلامة، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تحذ الأرض عدداً
 حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها ورجع
 الأعرابي إلى قومه وقال: إن اتبعوني أتيتكم بهم، وإلا رجعت مكنت معك. أخرجه الدارمي في سننه ١/٩.

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة.

(٢) في المخطوطة: دعائه. ولعل الصواب ما أثبتنا.

يفعل القبيح، فثبت أن من صدّقه الله بإظهار العلم عليه، صادق فيما ادعاه من النبوة، ولما بيناه قلنا إن المجرة لا يمكنها الاستدلال بالمعجز على نبوة من ظهر عليه، لأن عندهم أن الله تعالى يفعل كل فعل يشار إليه، قبيحاً كان أو حسناً، وأن له أن يضل عباده فما ^(١) يؤمنهم أن يصدّق الكاذبين في ادعاء النبوة.

[أخبار النبي صدق]

فإن قيل: ولم قلتم إن جميع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدق؟ قيل له: لأنه قد ثبت كونه رسولاً لله تعالى، وقد ثبت أن الحكيم لا يجعل رسوله من يكذب أو يفترى في شيء يوديه عنه، فهذا دليل على صدقه عليه السلام في جميع ما يوديه عن الله تعالى.

فأما ما يدل على صدقه في سائر ما يخبر به عنه، فإجماع المسلمين على أن تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جميع ما يخبر به عن الله واجب ^(٢)، فثبت أنه صادق في جميع ما يخبر به، وفي جميع ما يدل على صدقه في جميع أخباره أن الكذب ينفر الأمة، والله تعالى لا يبعث رسولاً على وجه يقتضي تنفير أمة، فثبت أنه لا يبعث إلا من يعلم أنه لا يكذب في شيء مما يخبر به.

ألا ترى أنه تعالى جنّب نبيه الغلظة والفظاظة، لما علم أنهما يوديان إلى التنفير، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فإذا ثبت وجوب صدقه صلى الله عليه وآله وسلم، ثبت وجوب ما أخبر به من الصلوات والزكوات والصيام والحج وسائر الشرائع، وكل ما أخبر بتحريمه منه.



(١) في المخطوطة: فيما. ولعل الصواب ما أثبت، والله أعلم.

(٢) في المخطوطة: فواجب. ولعل الصواب ما أثبتناه.

باب الوعد والوعيد

فإن قيل: فما قولكم في الوعد والوعيد؟

قيل له: نقول إذا ثبت بما قدمنا من الدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجب كونه صادقاً في جميع ما أخبر به عن الله تعالى، فيجب أن يقطع على أن جميع ما أخبر به عن الله تعالى من الوعد والوعيد حق، وإذا ثبت ذلك، ثبت أن ما أخبر الله تعالى به من أنه ثابت يثيب غداً، ويعاقب غداً، فإنه كائن لا محالة، ولا يجوز أن يقع في شيء من خبر الله تعالى، ولا يخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم خلف ولا تبديل، قال الله تعالى: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [٢٩: ٤٣].

[تخليد أهل الكبائر في النار]

فإن قيل: فما قولكم في فسق أهل الصلاة المرتكبين للكبائر؟

قيل له: نقول إنهم معذبون في الآخرة بالنار، خالدون فيها أبداً. والدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ١٤]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [١٢١]، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [١٢٢]، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿ [الانفطار: ١٣-١٦]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الحن: ٢٣]. فهذه الآيات قد حكمت بأن كل من ارتكب الكبائر، ولزمه اسم الفسق معذب في النار أبداً، فأما من تاب فإنه عصوص في هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿ الْأَمِنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [برم: ٥٢]. ويقول تعالى: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٩].

فأما أصحاب الصغائر فقد أخبر الله تعالى عنهم أنه يغفر لهم، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَحْسَبُوا كِتَابَ اللَّهِ تَنْتَهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١].

فإن قيل: ما أنكرتم أن تكون الآيات التي نفت الوعيد إنما هي في الكفار؟
قيل له: لو كان ذلك كذلك، لدل الله سبحانه على مراده، وإذ^(١) لم يدل على ما
ادعيتم فقد ثبت في تلك الآيات أنها عامة في الكفار وغيرهم.

فإن قيل: فما تنكرون على من قال لكم إن في القرآن ما يوجب تخصيص هذه
الآيات وتبيين أن المراد بها هم الكفار، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١٦٦] ^(٢)

قيل له: أما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، فليس فيه ذكر ما دون
الشرك، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. ليس فيه دليل
على أنه يغفر كل ما دون الشرك لمن يشاء، بل فيه دليل على أنه يغفر بعض ما
دون الشرك.

ألا ترى أنه قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. فعلقه بالمشيئة، ولم يقل
ويغفر كل ما دون ذلك، ثم بين الله بقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. ما الذي
يشاء أن يغفر مما دون الشرك، فبين أنه هو الصغائر، تغفر لمجتنب الكبائر، فقد بان
أن هذه الآية لم توجب كون تلك الآيات خاصة في الكفار على ما ظننه المرجحة .

[الشفاعة]

إن سأل سائل فقال: ما تقولون في الشفاعة؟ وهل تجوزونها لأهل الكبائر؟
قيل له: إنا نقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشفع للمؤمنين الثابتين، ولا
يشفع لأهل الكبائر، لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾
﴿[غافر: ١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ

(١) في المخطوطة: وإذا. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) سقطت الآية من المخطوطة: وأتحم الناسخ بعدها خطأ: قيل له: أما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، فليس فيه ذكر ما دون ذلك لمن يشاء.

حَشِيَّتِهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ [الرعد: ١٩]. ثم سائر الآيات التي تلونها في إثبات الوعيد دالة على أن أهل الكبائر معذبون، نعوذ بالله من عذابه ونسأله العون على الإنابة والتوبة والعصمة. وإذا ثبت أنهم معذبون، ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يشفع لهم.

فإن قيل: فإذا لم تجوزوا الشفاعة إلا للمؤمنين فلا معنى لها، فلا فائدة فيها، لأن المؤمنين قد استحقوا الغفران والثواب وإن لم يشفع لهم شافع؟

قيل له: ليس الأمر على ما ظننت، لأن الشفاعة تكون عندنا للمؤمنين في المزيد، وما يتفضل به عليهم من أنواع النعيم التي لا يستحقونها بعد ما يؤفون أجورهم المستحقة، وهذا معقول في الشاهد، لأن الإنسان كما يشفع لغیره في إزالة العقاب عنه، قد يشفع ليتفضل عليه ويزاد على مستحقه من المنافع.

فإن قيل: فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ادعرت شفاعةي لأهل الكبائر من أمي »؟

قيل له: معنى هذا الحديث عندنا إن صح وثبت: هو فيمن تاب من أهل الكبائر، لأن من تاب منهم إذا لم تكثر طاعته بعد التوبة قل ما يستحقه من الثواب، يشفع له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتضاعف ما يصل إليه من المنافع، هذا معنى الخبر وتأويله.

(١) أخرج الحديث بلفظ: « شفاعةي لأهل الكبائر من أمي ». الترمذي ٤ / ٤٥، وابن ماجه ٢ / ١٤٤١، وأبو داود ٥ / ١٠٦، وابن عزيمة / ٢٧٠، وابن حبان كما في الموارد / ٦٤٥، والحاكم ١ / ٦٩، والخطيب في موضع أوهام الجمع والتفريق ٢ / ٥٦، والبخاري في التاريخ الكبير ٢ / ١٢٦، والآجري في الشريعة / ٣٣٨، وأبو داود الطيالسي ٢ / ٢٢٨، وأبو نعيم ٣ / ٢٠١.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٨: رواه البزار، والطبراني في الصغير والأوسط.

وأخرج الخطيب في تاريخه: « شفاعةي لأهل الذنوب من أمي ». قال أبو الدرداء: وإن زن وإن سرق!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « نعم وإن زن وإن سرق على رغم أبي الدرداء ». التاريخ ١ / ٤١٦.

باب الإمامة

[إمامة علي عليه السلام]

إن سأل سائل فقال: مَنْ الإمام عندكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟
 قيل له: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، نقول ثم الحسن ثم الحسين
 عليهما السلام.

ونستدل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بقول النبي صلوات الله عليه وعلى آله
 وسلم يوم الغدير مخاطباً للأمة: « من أول بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله
 — ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه »^(١)، فقدّر

(١) هذا الحديث يعرف بمحدث الغدير، وهو من أكثر الأحاديث شهرة، فقد رواه مئات من المحدثين
 عن جمع من الصحابة منهم:

الإمام علي عليه السلام، أخرجه عنه: الإمام أبو طالب في الأمالي ٣٣، والنسائي في الخصائص ١٥٦،
 وأحمد في المسند ١٥٢/١، وأبو يعلى ٤٢٨/١ (٥٦٧)، والطبراني في الصغير ١١٩/١، والطبراني في
 (١٥٤)، والطبري في ذخائر المعنى ٦٨، والرياض النضرة ١٦١/٢.

وعن ابن عباس، أخرجه عنه: الحاكم ١٣٢/٣، وأحمد ٣٣/١، والنسائي في الخصائص ٤٥ رقم ٨١
 و (٨٢)، والخطيب البغدادي ٣٤٤/١٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن زيد بن أرقم، أخرجه عنه: أحمد ٣٦٨/٤ و ٣٧٠، ومسلم ٣١٧/٢، والحاكم ١٠٩/٢،
 والنسائي في الكبرى ٤٥/٥ (٨١٤٨)، والطبراني في الأوسط ٥٧٦/٢ (١٩٨٧)، والطبري في ذخائر
 المعنى ١٥٥.

وعن الرء بن عازب، أخرجه عنه: الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ٣٦٨/٢ (٨٤٤)،
 وابن ماجه ٤٣/١ رقم (١١٦)، والنسائي في الخصائص ١٦٢، والخطيب البغدادي ٢٣٦/١٤،
 والطبري في الذخائر ٦٧، وأحمد في المسند ٢٨١/٤.

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، أخرجه عنه: أحمد ١١٨/١، والنسائي في الخصائص ١٥٠، وابن حبان ٣٧٥/١٥ (٦٩٣١)، والحاكم في المستدرک ١٠٩/٣ و ١١٠ و ٥٣٣، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٩٢٥ و ٢١٧/٥، والمهيمن في الجمع ٤٢/٩.

عن سعد بن أبي وقاص، أخرجه عنه: ابن ماجة ٤٢/١ برقم (١١٥) وص ٤٥ برقم (١٢١)، والنسائي في الخصائص ١٧٦ برقم (٩٥ و ٩٤) وص ١٧٧ برقم (٩٦)، والحاكم في المستدرک ٣/ ١١٦، والمهيمن في مجمع الزوائد ١٠٧/٩.

عن جرير بن عبد الله، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ٣٥٧/٢ (٢٥٠٥).

وعن حبشي بن حنادة، أخرجه عنه: الطبراني في الكبير ١٦/٤ (٣٥١٤).

وللحديث طرق كثيرة يطول الكلام عليها، وفيما يلي سند ذكر شيئا مما قيل عن الحديث:

قال ابن المغازلي الشافعي في (المناقب ٢٧): قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روي عن نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة.

قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في (الشافعي ١١٧/١): لا يوجد قط نقل بطرق بقدر هذه الطرق فيجب أن يكون أصلاً متبعاً وطريقاً مهياً.

قال الإمام الحسن بن بدر الدين في (أنوار اليقين/ مخطوط): أما خبر القدير فقد روي بطرق مختلفة وأسانيده كثيرة وألفاظ مختلفة مترادفة على معنى واحد، وأجمع عليه أهل النقل، وبلغ حد التواتر لا إشكال في تواتره.

وقال ابن حجر المصنعي في (فتح الباري ٦١/٧): وأما حديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، أخرجه الترمذي والنسائي، هو كثير الطرق جداً وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان.

وقال الذهبي في (تذكرة الحفاظ ٧١٣/٢): رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير فأندهشت له ولكثرة تلك الطرق.

وقال كما في (مفتاح كبر دراية المهرج ١٠٧): وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه فله طرق جيدة وقد أفدت ذلك — يعني في كتاب —.

وقال الحافظ: محمد بن إبراهيم الوزير: إن حديث الغدير يروى بمائة طريق وثلاث وخمسين طريقاً.

وقال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في (نهاية التنويه/ مخطوط): من أنكر عمر الغدير فقد أنكر ما عُلم من الدين ضرورة، لأن العلم به كالعلم بمكة وشبهها، فالنكر سونسطالي.

وقال ابن الجزري في (أسنى المطالب ٣-٤): هو حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الجهم الغفير عن الجهم الغفير ولا عبرة بمن حاول تضعيفه بمن لا إطلاع له في هذا العلم.

وقال المقيلي في (الأبحاث المسددة ٢٤٤): فإن كان مثل هذا — يعني حديث الغدير — معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم.

وقال ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ٤٢): حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثرة من أسانيدھا صحاح وحسان، ولا التفات إلى من قدح في صحته.

وقال علي القاري في (المرقاة شرح المشكاة ٥٦٨/٥): هذا الحديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عده متواتراً إذا في رواية أحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوع أيام خلافته.

وقال ابن الأمير الصنعاني في (الروضة الندية ٦٧): حديث الغدير تواتر عند أكثر أئمة الحديث.

أورده السيوطي في (الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ١): عن ثمانية عشر صحابياً.

وأورده الكناي في (نظم المتناثر في الحديث المتواتر).

وذكره الحناوي في كتاب (الصفوة) وصرح بتواتره.

وذكره الزبيدي في (لفظ الآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ٢٠٥) من اثنين وعشرين طريقاً.

وأورده الأسيدي في كتاب (الغدير ١٤١/١ - ١٥١) عن مائة وعشرة من الصحابة. وأقرده قسماً لطبقات رواه الذين بلغ عددهم عنده ثلاث مائة وستين عالماً. من تفريج الأستاذ محمد يحيى عزان.

(١) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) في المجموع ٤٠٧ - ٤٠٨، والإمام الهادي (ع) في الأحكام ٣٨/١، والإمام أبو طالب في أماليه ٣٢، ٣٥، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم (٤١٩)، والمؤيد بالله في الأمالي الصغرى ١٠٤ (٢٠)، والبخاري ٩٩/٥ و ١٨/٦، ومسلم ١٨٧٠/٤ (٢٤٠٤)، والترمذي ٥ رقم (٣٧٣١)، وابن ماجه ٤٢/١ رقم (١٧٥) و ٤٥/١ رقم (١٢١)، والحاكم

لنفسه وجوب الطاعة على الأمة، ثم أثبت لعلي عليه السلام منه ما كان ثابتاً له، فوجب أن تكون طاعة أمير المؤمنين عليه السلام واجبة على الأمة، وإذا ثبت وجوب الطاعة ثبتت الإمامة، ويدل عليه قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»^(١)، فأثبت لأمر المؤمنين جميع منازل

في المستدرک ١٠٩/٣، والبرز ٢٧٦/٣ رقم (١٠٦٥)، والحمیدی في مسنده ٣٨/١ رقم (٧١)، وأحمد بن حنبل ١٧٧/١ و ١٧٩/١، وأبو يعلى في مسنده ٨٦/٢ رقم (٧٣٩)، و ٦٦ رقم (٧٠٩) و (٦٩٨)، أبو نعيم في حلیة الأولیاء ١٩٦/٧، والخطیب البغدادي ٣٢٥/١، والطبرانی في الكبير ١٤٨/١ رقم (٣٣٧)، وفي الصغير ٢٢/٢، وابن الأثیر ٢٦٤-٢٧، وابن عساکر في تاریخ دمشق ٢١٦/١ رقم (٣٤٩) ترجمة الإمام علي عليه السلام، عن سعد بن أبي وقاص. وأخرجه الإمام المرشد بالله في الحمصیة ١٣٤/١، والطبرانی ٢٤٧/٢ (٢٠٣٥) عن جابر بن عبد الله.

وأورده السيوطي في الأزهار المنثارة في الأحاديث المتواترة عن عشرين من الصحابة، وتبع ابن عساکر طرقة فبلغ عدد الصحابة ثيفاً وعشرين، وقد استوعب طرقه ابن عساکر في نحو عشرين ورقة، وأورده في لقط اللآلئ المنثارة في الأحاديث المتواترة ٣١. من تخريج الأستاذ محمد يحيى عزان.

(١) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) في المجموع ٤٠٧-٤٠٨، والإمام الهادي (ع) في الأحكام ٣٨/١، والإمام أبو طالب في أماليه ٣٢٠،٣٥، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب رقم (٤١٩)، والمؤيد بالله في الأمالي الصفري ١٠٤ (٢٠)، والبخاري ٩٩/٥ و ١٨/٦، ومسلم ١٨٧٠/٤ (٢٤٠٤)، والترمذي ٥ رقم (٣٧٣١)، وابن ماجة ٤٢/١ رقم (١٧٥) و ٤٥/١ رقم (١٢١)، والحاكم في المستدرک ١٠٩/٣، والبرز ٢٧٦/٣ رقم (١٠٦٥)، والحمیدی في مسنده ٣٨/١ رقم (٧١)، وأحمد بن حنبل ١٧٧/١ و ١٧٩/١، وأبو يعلى في مسنده ٨٦/٢ رقم (٧٣٩)، و ٦٦ رقم (٧٠٩) و (٦٩٨)، أبو نعيم في حلیة الأولیاء ١٩٦/٧، والخطیب البغدادي ٣٢٥/١، والطبرانی في الكبير ١٤٨/١ رقم (٣٣٧)، وفي الصغير ٢٢/٢، وابن الأثیر ٢٦٤-٢٧، وابن عساکر في تاریخ دمشق ٢١٦/١ رقم (٣٤٩) ترجمة الإمام علي عليه السلام، عن سعد بن أبي وقاص. وأخرجه الإمام المرشد بالله في الحمصیة ١٣٤/١، والطبرانی ٢٤٧/٢ (٢٠٣٥) عن جابر بن عبد الله.

هارون إلا النبوة، ومن منازل هارون الإمامة من [بعد] موسى، فثبتت الإمامة لعلي عليه السلام. وقد دل الله تعالى على ذلك في محكم كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. ولم يُرَوَّ في أحد أنه زكى وهو راكع غيره، فترلت هذه الآية فيه، إلا في علي عليه السلام^(١)، فثبتت الولاية له.

وأورده السيوطي في الأزهار المنتثرة في الأحاديث المتواترة عن عشرين من الصحابة، وتتبع ابن عساكر طرقة فبلغ عدد الصحابة نيفاً وعشرين، وقد استوعب طرقة ابن عساكر في نحو عشرين ورقة، وأورده في لفظ اللآلئ المنتثرة في الأحاديث المتواترة ٣١. من غريب الأستاذ محمد يحيى عزان. والطوسي في ذخائر العقبى / ٦٣، وفي صفة الصفوة / ١، ١٢٠، وفي الإصابة / ٢ / ٣١٥، وابن عدي / ٦ / ٦٠٨٨، و ٢٢٢٢.

(١) روى نزول الآية في علي عليه السلام جمع كثير من الصحابة والتابعين منهم:

— علي. في البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٧ / ٧)، ومناقب الخوارزمي / ١٨٧، وفي معرفة علوم الحديث للحاكم / ١٠٢، ومناقب بين المغازلي (ص ٣١٢ رقم (٣٥٥))، والعمدة لابن البطريق / ٦٠، والمرشد بالله في الأمالي / ١ / ١٣٧، ١٣٨، وفيات الكوفي في تفسيره / ٣٩، ٤٠، والسيوطي في الدر المنثور / ٢ / ٢٩٣ عن أبي الشيخ وابن مردويه، والمتقي الهندي في الكثر / ٦ / ٤٠٥.

— الحسن السبط. ابن الجوزي في تذكرة الخواص / ٢٠٧ - ٢٠٨.

— أنس بن مالك. الكشي في كفاية الطالب / ٢٢٨ - ٢٢٩، ونحوه في شواهد التنزيل رقم (٢٢٢)، (٢٢٣)، ونقله في الفدير (١٥٩ / ٢) عن فضائل الصحابة لأبي سعد السمعاني الشافعي.

— أبو ذر الغفاري. الشعلي في تفسيره، وعنه في مجمع البيان للطوسي / ٢ / ٢١٠، والحسكاني في الشواهد رقم (٢٣٥)، وعنه الفدير / ٢ / ٥٢، والعمدة (الفصل ١٥ ص ٥٩).

— أبو رافع. المرشد بالله في أماليه / ١ / ١٣٨، والطوسي في أماليه / ١ / ٥٨، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم كما في الدر المنثور / ٢ / ٢٩٤، والهندي في الكثر / ٧ / ٣٠٥.

— جابر بن عبد الله. الحسكاني في الشواهد رقم (٢٣٢)، والأميني في الفدير (١٥٩ / ٣) عن الإبانة لأبي الفتح النطوي.

- عبد الله بن عباس. المرشد بالله في أماليه ١/ ١٣٨، والكوفي في المناقب ١/ ١٥٠ (٥٨)، ١/ ١٦٩ (١٠٠)، والسبلاني في أنساب الأشراف ٢/ ١٥٠، وابن المغازلي في المناقب/ ٣١٣ رقم (٣٥٧)، والطبري في الذخائر/ ٨٨، والواحدي في أسباب النزول/ ١٤٨ - ١٤٩، والخوارزمي في المناقب/ ١٨٦، والحسكاني في الشواهد برقم (٢٣٦ - ٢٣٧)، والطبري في مجمع البيان ٢/ ٢١٠ - ٢١١، والكنشي في الكفاية/ ٢٤٩ - ٢٥٠، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١، والخطيب، وعبد النزاق، وعبد بن حميد، وأبو الشيخ، وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٢/ ٢٩٣، وفتح القدير ٢/ ٥٠، والطبري في تفسيره ٦/ ١٨٦، والمهيمن في مجمع الزوائد ٧/ ١٧ عن الطبراني.
- عبد الله بن سلام. الطبري في الذخائر/ ١٠٢ عن الواقدي وابن الجوزي، وفي الرياض ٢/ ٣٠٢ عن الفضالي. وهو في الجمع بين الصحيحين للبخاري نقلا عن صحيح النسائي ذكر ذلك في جامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧٨. والرازي في مفاتيح الغيب ٣/ ٦١٨، والسيهري في تفسيره ٦/ ١٦٧، والطبري في الجمع ٢/ ٢١٠.
- عمار بن ياسر. الطبراني، وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥. والحسكاني في الشواهد برقم (٣٣١)، وابن كثير في التفسير ٢/ ٧١، والمهيمن في مجمع الزوائد ٧/ ١٧ عن الطبراني في الأوسط.
- المقداد بن الأسود الكندي. الحسكاني في الشواهد برقم (٢٣٤).
- محمد بن علي الباقر. ابن المغازلي في المناقب/ ٣١٣، وفرات في تفسيره/ ٣٦ - ٣٧، وأبو نعيم في الحلية، كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٦، والكوفي في المناقب ٢/ ٤١٤ (٨٩٦).
- محمد بن الحنفية. الكوفي في المناقب ١/ ١٨٩ (١١٠)، والحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٤)، (٢٢٥)، وفرات الكوفي في تفسيره/ ٢٧، ٣٩، ٤١.
- مجاهد بن جبر. الطبري في تفسيره كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٧١.
- السدي. الطبري في تفسيره كما في الدر المنثور ٣/ ١٠٥.
- زيد بن علي. المرشد بالله في أماليه ١/ ١٣٧.
- عبد الملك بن جريح. الحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٧).
- عتبة بن أبي حكيم. الطبري في تفسيره ٦/ ١٨٦.
- عطاء بن السائب. الحسكاني في الشواهد برقم (٢٢٦).

فإن قيل: ما أنكرتم أن تكون الآية عامة في جميع المؤمنين؟

قيل له: لا يجوز ذلك، لأنه تعالى أثبت الولي والمولى عليه، لأنه قال: ﴿ إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. فوجب أن يكون الولي غير المولى من هو ولي عليه، فثبت أن الآية خاصة، وإذا ثبت ذلك ثبت أنها في علي عليه السلام إذ لم يدع أحد أنها خاصة في غيره.

فإن قال: فما تتكرون على من قال لكم إن جميع ما ذكرتم من الآية والخبر لا يوجب له إلا الفضائل والمراتب والمنازل والمناقب دون الإمامة، لأن الصحابة قد أجمعت على إمامة غيره؟

قيل له: لم تجمع الصحابة على إمامة غيره، وذلك أن من يدعي الإجماع على إمامة غيره، لا يدعي البيعة عن كل أحد من الصحابة، وإنما نقول وجدناهم في آخر أمر أبي بكر بين مباحث ومظهر للرضى، وساکت، والسكوت لا يدل على الرضى، إلا إذا سلمت الأحوال، وقد ثبت أنه جرى حيثنذ " هناك أمور من القهر والحمل والإجاء، والسكوت مع هذه الأحوال لا يدل على الرضى.

فإن قيل: وما تلك الأمور التي ادعيت فيها القهر والحمل والإجاء؟

— سلمة بن كهيل. ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٧/٧، والتفسير ٧١/٢، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساکر، كما في الدر المنثور ١٠٥/٣.

وهو في تفسير الزمخشري الكشاف، وتفسير أبي البركات ٤٩٦/١، وتفسير النيسابوري ٤٦١/٣، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي/١٢٣، ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي/٣١، وتذكرة الخواص لابن الجوزي/٩، وفراد السمتين للحموي في الباب الرابع عشر، والمواقف للقاضي عضد الدين الإيجي ٢٧٦/٣، ونور الأبصار للشبلنجي/٧٧، وروح المعاني للألوسي ٣٢٩/٢، وغيرهم كثير.

(١) في المخطوطة: إذا. والصواب ما أثبتنا.

(٢) في المخطوطة: وحيثنذ.

قيل له: هي ما نطقت به الأخبار، واتصلت بصحتها الآثار، أن الزبير لما امتنع من البيعة حُمل عليه، وانتهى الأمر إلى أن كسر سيفه^(١)، وأن عمار بن ياسر ضرب^(٢) وأن سلمان أستخف به^(٣)، وأن فاطمة عليها السلام هجموا على دارها لما

(١) قال السيعقوبي: وتختلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا إلى علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام...
تاريخ السيعقوبي ٢/ ١٢٤ - ١٢٥، والسقيفة للحموري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢/ ١٣، والإمامة السياسة ١/ ١٠.

وقال عمر بن الخطاب: وإنه كان من خبرنا حين تولى الله نبيه أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة. مسند أحمد ١/ ٥٥، والطبري ٢/ ٤٦٦، وابن الأثير ٢/ ١٢٤، وابن كثير ٥/ ٢٤٦، وصغوة الصفوة ١/ ٩٧، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٣، والسيوطي في تاريخه ٤٥. وابن هشام ٤/ ٣٣٨، وتيسر الوصول ٢/ ٤١.

قال الطبري: أتى عمر بن الخطاب منزل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلاً بالسيف، فشر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، وذكر كسر السيف المحب الطبري في الرياض النضرة ١/ ١٦٧، والخميس ١/ ١٨٨، وابن أبي الحديد ١/ ١٢٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٨، و (٢/ ٢ - ٥)، وكثر العمال ٣/ ١٢٨، والإمامة والسياسة ١/ ١١، وأنوار اليقين للأمر الحسين/ ١٣٣، ومصابيح الحسني.

(٢) لم أقف على ضرب عمار بعد بيعة أبي بكر، ولكن في عهد عثمان وربما أشبه الأمر على الإمام. أما ما كن من أمر عمار فإنه اجتمع ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكتبوا كتاباً ذكره فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنة صاحبيه وعبدوا أموراً كثيرة... ثم تعاهدوا ليدفن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وكانوا عشرة فلما خرجوا به إلى عثمان نسلوا عن عمار والكتاب في يده حتى بقي وحده ثم مضى حتى دخل على عثمان وعنده مروان بن الحكم، وأهله من بني أمية فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال له: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: ومن كان معك؟ قال: كان معي نفر تفسرؤا فرقا منك. قال: من هم؟ قال: لا أخبرك بهم قال: فلمَ احترأت علي من بينهم؟ فقال:

تأخر علي عليه السلام عن البيعة^(١)، وأن سعد بن عباد لما أظهر الكراهة اضطرب إلى مفارقة المدينة، ثم رشق بسهم في أيام عمر ومات^(٢)، وإذا صح هذا الذي

مسروان: يا أمير المؤمنين إن هذا المهد الأسود — يعني عماراً — قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتله نكلت به من وراءه. قال عثمان: أضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فقروا بطنه!!!! ففشي عليه، فجرؤوه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام، فأدخل مزحلاً، وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة الظهر، عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة، فقال: أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلاً عظيماً من بني أمية، فقال عثمان: لست هناك. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٣٢ - ٣٣. وأنوار اليقين/ ١١ للأمير الحسين، ومروج الذهب ٢/ ٣٤٧. وتاريخ الخميس ٢/ ٢٧١، والسيرة الحلبية ٢/ ٧٨، وشرح لمج البلاغة ١/ ٢٣٨، وأنساب الأشراف ٤٨/٥.

(١) ذكر في أنوار اليقين: ألهم وجأوا عنقه حتى خفض إلى الأرض. / ١١.

(٢) غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم: علي بن أبي طالب والزبير فدخلوا بيت فاطمة ومعهما السلاح. الرياض النضر ١/ ٢١٨، والجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، و٦/ ٢٩٣، وتاريخ الخميس ٢/ ١٦٩.

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبو فقتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار، فلقبتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أبحث لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة. ابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وأبو الفداء ١/ ١٥٦، وانظر انساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكو المعال ٣/ ١٤٠، والرياض النضرة ١/ ١٦٧، وشرح ابن أبي الحديد ١/ ١٣٢، والخميس ١/ ١٧٨، وأنوار اليقين لأمير الحسين/ ١٣، ومصابيح الحسين، وأعلام النساء ٣/ ١٢٥.

وقال يعقوبي: فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار — إلى قوله — وكسر سيفه — أي سيف علي — ودخلوا السدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتحرجن أو لاكتشن شرعي ولأعصن إلى الله، فخرجوا وخرج من كان في الدار. تاريخ يعقوبي ٢/ ١٢٦.

قال أبو بكر في مرض موته: أما إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتھن؛ وددت أني تركتھن... إلى قوله: فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب. تاريخ الطبري ٢/ ٦١٩، ومروج الذهب ١/ ٤١٤، وابن عبد ربه ٣/ ٦٩، وكثر العمال ٣/ ١٣٥، والإمامة والسياسة ١/ ١٨، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٨٨، وغيرهم.

وفي رواية يعقوبي: ولتيني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب. تاريخ يعقوبي ٢/ ١٣٧.

(١) ذكر أن سعدا ترك إماما بعد يعة أبي بكر ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كتابي من نيل، وأعضب رعي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل. ولم الله لو أن الجبل اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم حسابي. تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٩، وابن الأثير ٢/ ١٢٦، وكثر العمال ٣/ ١٣٤، والإمامة والسياسة ١/ ١٠، والسيرة الحلبية ٤/ ٣٩٧.

قبل فلما أتى أبو بكر بذلك قال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

فقال له بشر بن سعد: إنه قد ج وأبي، وليس بجبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فأتوكوه فليس تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشر بن سعد، واستصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بهلائهم ولا يجتمع معهم ولا يخرج ولا يفيض معهم بإفاضتهم... إلخ. فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر. الرياض النضرة إضافة إلى سائر المصادر السابقة إلا الطبري فأورد الرواية إلى: فأتوكوه.

ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعد؟

فقال له: إيه يا عمر؟

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم، أنا ذلك وقد أفضى إليه هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك وقد أصبحت والله كارهها لجوارك.

فقال عمر: من كره حوار جوار تحول عنه.

ذكرناه وهو يسير من كثير بان أن السكوت معه لا يدل على الرضى على أنه لا فصل بين من ادعا الإجماع على إمامة أبي بكر وبين من ادعاه على إمامة معاوية بعد ما هادنه الحسن بن علي عليه السلام، وكل ما يمكن أن نبين به أن معاوية لم يجمع على إمامته، أمكن أن نبين بمثله أن أبا بكر لم يجمع على إمامته.

فأما ما روي من تقدم أبي بكر في الصلاة، فهو من الأخبار التي فيها نظر^(١)، وإن صح فهو لا يدل على الإمامة. ألا ترى أنه يجوز أن يقدم في الصلاة من لا يصلح

فقال سعد: ما أنا غير مستر بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك.

فسلم بليث إلا قليلا حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر إلخ. طبقات ابن سعد ٣/ ١٤٥، وابن عساکر ٤/ ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه، وكر العمال ٣/ ١٣٤ (٢٢٩٦)، والسورة الحلبية ٣/ ٣٩٧.

وفي رواية البلاذري: أن سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام، فبعث عمر رجلا وقال: أدعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبي فاستن الله عليه. فقدم الرجل الشام فوجد سعدا في حائط بجوارين — من قرى حلب — فدعاه إلى البيعة. فقال: لا أبايع قرشيا أبدا. قال: فإن أقاتلك. قال: وإن قاتلتني. قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة. قال: أما من البيعة فإن خارج. فرماه بهم فقتله. أنساب الأشراف ١/ ٥٨٩، والمقد الفريد ٣/ ٦٤ - ٦٥ باختلاف يسير، وأنوار اليقين ١١.

(١) روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض فاشتد مرضه فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فأمر ثانية فعادت فأمر ثالثة فصلى بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أخرجه البخاري فصح الباري ٢/ ١٣٠، ومسلم بشرح النووي ٤/ ١٤٠، وقالت عائشة: لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يجب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا!!

أقول وهو يمكن أن تكره عائشة هذا الخير لأبي بكر!! ثم هل تجوز لها هذه المراجعة التي أغضبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنكن لصواحب يوسف. وما يقصد بصواحب يوسف!! مع العلم أن صواحب يوسف هن اللاتي رادونه بالفحشاء عن نفسه. ثم كيف تجوز المراجعة بذلك الشكل مع قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ ﴿١٢٦﴾. وأيضا قالت لما حملها على المراجعة: كنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشام الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أبي بكر. أقول: وهذه العلة تنقض العلة الأولى، فهناك كراهة عجة الناس له، وهنا خوف تشام الناس به ١١ فأيهما أصح ١٢؟

وفي رواية أخرى أخرجه البخاري الفتح ٢ / ١٣٠، ومسلم بشرح النووي ٤ / ١٤١، أن عائشة قالت: إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يتم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر ١١ وطلبت من حفصة أن تقول له ذلك. فغضب صلى الله عليه وآله وسلم فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك محرما. هذا عند البخاري، وعند مسلم، قالت: فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه خفة فقام يُهادى بين رجلين ورجلاه تغطان في الأرض، قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قم مكانك فحاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر، قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس جالسا وأبو بكر قائما، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر. وهو عند البخاري ٢ / ١٣٢.

أقول: لقد تغيرت العلة التي حملت عائشة على المراجعة في هذه الرواية، وهذا اضطراب واضح يضعف الرواية.

وفي رواية أخرى أخرجه البخاري الفتح ٢ / ١٣٧، ومسلم ٤ / ١٣٥. عن عائشة قالت: نقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماء في المعضب. قالت: ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفان حتى أغشى عليه ثلاث مرات وهو يسأل أصلى الناس؟ ثم أرسل صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر ليصلي بالناس. فطلب أبو بكر من عمر أن يصلي بالناس فامتنع عمر. فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي وأبو بكر يصلي بالناس فتأخر أبو بكر فأومأ إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتأخر، وجلس جنب أبي بكر وصلى به وأبو بكر يصلي بالناس.

وفي رواية للبخاري ٢ / ١٣٠، ومسلم ٤ / ١٤٢، أن أبا بكر كان يصلي الناس في وجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى

للإمامة!! على أن التقدم في الصلاة ليس هو إيجاب إمامته. ألا ترى إلى المسلمين إذا قدموا بعضهم للصلاة لم يكن ذلك عند أحد من المسلمين موجبا لإمامته.

[إمامة الحسن والحسين]

فأما ما يدل على أن الإمامة بعد أمير المؤمنين للحسن والحسين عليهما السلام، قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « هذان إمامان إن قاما أو قعدا »^(١).

ويدل أيضا على ذلك إجماع أهل البيت على القول بإمامتهما، وسنبين أن إجماع أهل البيت حجة، وعلى أنهما قد دعوا إلى أنفسهما وبويعا، ولم يكن في زمانهما

الله عليه وآله وسلم ستر الحجره فنظر إليهم، ونكص أبو بكر على عقبه فأشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتموا الصلاة وأرعى السر وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يومه.

وفي رواية للبخاري ١٣١ / ٢، ومسلم ١٤٣ / ٤. أنها أقيمت الصلاة فذهب أبو بكر ليتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحجاب فرفعه فأومأ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرعى صلى الله عليه وآله وسلم بالحجاب فلم تقدر عليه حتى مات.

أقول: ما هذا الإضطراب؟

في الرواية الأولى يكشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجاب وهم يصلون فيتأخر أبو بكر فيوميء لهم صلى الله عليه وآله وسلم أن يتموا؟؟ وهنا يكشف الحجاب وأبو بكر يذهب ليتقدم ثم يتراجع فيوميء له صلى الله عليه وآله وسلم أن يتقدم.

أقول: هذا من جهة المتن، وأما من جهة السند فارجع إلى فتح الباري تجد الشارح يحاول جاهداً التوفيق والتلفيق لبعض الروايات مرسله والأخرى موصولة، وهناك أكثر من خلل. والمقام لا ينسج وإنما أردنا الإشارة إلى تنظر الإمام المؤيد بالله على هذه الروايات والموضوع بحاجة إلى دراسة وافية، أرجو أن يتيسر لي ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

(١) الحديث منلق بالقبول عند أهل البيت عليهم السلام ولا يكاد يخلو من ذكره كتاب من العقيدة عند أهل البيت. وأخرجه الصدوق في علل الشرائع / ٢١١، مستداً.

من يدعي الإمامة غير معاوية يزيد، وهذان قد ظهر فسقهما وكفرهما. فبان به ^{١١} صحة إمامتهما.

[إمامة أهل البيت]

فإن سأل سائل فقال: ما قولكم في الإمامة بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟
 قيل له: نقول إنها ثابتة في أولادهما المنتسبين إليهما من الذكور دون الإناث، لا يخرج عنهما إلا البنات، ويستدل على صحة ذلك بإجماع أهل البيت عليهم السلام، إلا أنهم لم يختلفوا في أن الإمامة لا تخرج عن البطنين.

فإن قيل: ولم قلتم إن إجماع أهل البيت حق؟
 قيل له: لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عني الخوض» ^(١٢).

(١) في المخطوطة: له. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) هذا الحديث ورد بالفاظ متفاوتة فمن أخرجه وفيه لفظ: «وعترتي» الإمام زيد بن علي في المسند / ١٠٤، والإمام الرضى في الصحيفة / ٤٦٤، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه المطبوعة / ١٦٧ رقم (٦٤٦)، والإمام أبو طالب في الأمالي / ١٧٩، والمرشد بالله في الأمالي / ١٥٢، والدولابي في الذرية الطاهرة / ١٦٦ رقم (٢٢٨) واليزار / ٣ / ٨٩ رقم (٨٦٤) عن علي.

وأخرجه مسلم / ١٥ (بشرح النووي) / ١٩٩، والترمذي / ٥ / ٦٢٢ رقم (٣٧٨٨)، وابن عزيمة / ٤ / ٦٢ رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار / ٤ / ٣٦٨ - ٣٦٩، وابن أبي شبة في المصنف / ٧ / ٤١٨، وابن عساکر في تاريخ دمشق / ٥ / ٣٦٩ (تقديمه)، والطبري في ذخائر العقبى / ١٦، البيهقي في السنن الكبرى / ٧ / ٣٠، والطبراني في الكبير / ٥ / ١٦٦ رقم (٤١٦٩)، والنسائي في الخصائص / ١٥٠ رقم (٢٧٦)، والدارمي / ٢ / ٤٣١، وابن المغازلي في المناقب / ٢٣٤، ٢٣٦، وأحمد في المسند / ٤ / ٣٦٧، وابن الأثير في أسد الغابة / ٢ / ١٢، والهاكم في المستدرک / ٣ / ١٤٨، وصححه وأقره الذهبي عن زيد بن أرقم.

فإن قيل: ومن أين صح لكم هذا الخبر ولا يمكنكم ادعاء التواتر فيه؟

وأخرج عبد بن حميد ١٠٧-١٠٨ (المنتخب)، وأحمد ٥/١٨٢ و١٨٩، والطبراني في الكبير ٥/١٦٦، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٥٧ رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كثر العمال ١/١٨٦ رقم (٩٤٥)، وعزاه إلى ابن حميد وابن الأثير عن زيد بن ثابت وأخرجه أبو يعلى في المسند ٢/١٩٧ و٣٧٦، وابن أبي شبة في المصنف ٧/١٧٧، والطبراني في الصغير ١/١٣١ و ١٣٥ و ٢٢٦، وأحمد في المسند ٢/١٧، ٦/٢٦، وهو في كثر العمال ١/١٨٥ رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى البارودي ورقم (٩٤٤)، وعزاه إلى ابنه أبي شبة، وابن سعد، وأبي يعلى. عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨/٤٤٢، وهو في الكثر ١/١٦٨، وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد.

وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٢١ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كثر العمال ١/١١٧، رقم (٩٥١)، وعزاه إلى ابنه أبي شبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبد الله.

والكنشي في كفاية الطالب ١١، وابن سعد في الطبقات ٤/٨، ورواه في العقد الفريد ٢/١٥٨، و ٣٤٦. وفي تذكرة الخواص/ ٣٣٢. ورواه نور الدين الحلي في إنسان العيون ٣/٣٠٨، والعريزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير ١/٣٢١، وابن الصباغ في الفصول المهمة/ ٢٢٤ وشهاب الدين الحفاجي في نسيم الرياض ٣/٤١٠، والنعماني في الكشف والبيان عند تفسير آية الاعتصام، وآية (أبها السفلان). والرازي في تفسير آية الاعتصام ٣/١٨ وهو في تفسير النظام النيسابوري ١/٢٥٧، ٤/٩٤، وفي تفسير ابن كثير الدمشقي ٣/٤٨٥، و ٤/١١٣، ورواه في البداية والنهاية في ضمن حديث الغدير، وابن الأثير في النهاية الجزء الأول، والسيوطي في الدر النثر/ ١٥٥، وذكره في لسان العرب في مادة عترة ومادة ثقل وحبل، والشيرازي في القاموس في مادة أو ثقل، والزبيدي في تاج العروس في مادة ثقل أيضا. وشرح لمح البلاغة ٦/١٣٠ في معنى العترة، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي/ ٢٥٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي/ ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنة ٢/٤٤٨، ومصابيح السنة للبغوي ٢/٢٠٥، ٢٠٦. والصواعق المحرقة/ ٧٥، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار/ ١١٠. وبنابيع المودة/ ١٨، ٢٥.

قيل له: الذي يدل على هذا الخبر هو تلقي الأمة له بالقبول، وكل خير تتلقاه الأمة بالقبول، فيجب له أن يكون صحيحاً مقطوعاً به، وإن لم يكن في الأصل متواتراً، إذ قد ثبت أن الأمة لا تجمع على الباطل.

فإن قيل: ولم قلتم وادعيتم أن أهل البيت أولاد الحسن والحسين عليهم السلام دون من سواهم؟

قيل لهم: لأن كونهم أهل البيت يجمع عليه لا خلاف فيه، وكون غيرهم من أهل البيت مختلف فيه، ولا دليل لمن يدعيه.

[شروط الإمامة]

فإن قيل: ما الصفة التي إذا حصلت في الواحد منهم صح له الإمامة؟
قيل له:

- أن يكون من أحد البطنيين على ما ذكرنا.
- وأن يكون ورعاً يحجزه ورعه عن ارتكاب المعاصي، والإخلال بالواجبات.
- وأن يكون شجاعاً، يثبت في الحروب، ويهتدي في الساعات.
- وأن يكون عالماً بأصول الدين، وبما^(١) تحتاج إليه الأمة، من علم الشريعة، ولن يتم ذلك إلا بعد أن يعرف جملة من العقليات، ليتم له معرفة الله عز وجل، ومعرفة رسوله، وليتم له العلم بما يجوز أن يريد الله، وما لا يجوز أن يريد، ليصح له العلم [مضى ما^(٢)]، ورد خطابه تعالى عليه.
- ويجب أن يكون عالماً بجملة الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الشرائع.

(١) في المخطوطة: وبما.

(٢) في المخطوطة: بينا. والحرف الأول مهمل إلا أن الكمبيوتر لا يكتب المهمل، ولم اهتم لمعرفتها. ولعلها مصحفة. والصواب ما أثبت أو نحوها.

ويجب أن يكون عالماً بكتاب الله، وجملة من الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، وحكم الأوامر والنواهي، والفصل بين المجمل والمفسر، وحكم الأخبار، والفصل بين ما يوجب العلم، وما يوجب العمل، وحكم أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في الوجوب وغيره، ولن يتم معرفة ما ذكرنا إلا بعد أن يكون عالماً بمجملة من اللغة، والفصل بين حقائقها، ومجازها، ومجملة من النحو ليتوصل بذلك إلى المعرفة بمراد الله تعالى، ومراد رسوله بخطاهما.

ويجب أن يكون عالماً بمجملة من وجوه الإجتihad والمقاييس، ليتمكن رد الفروع إلى الأصول، فإذا اجتمع في الواحد ما ذكرنا صلح للإمامة، ولم يكن في عصره من هو أفضل منه، في جمل هذه الحلال^(١).

(١) لم يذكر الإمام من شروط الإمامة التي تواضع عليها المتأخرون إلا سبعة شروط وهي الأسس والعمدة في نظره وهي:

١- البلوغ والعقل.

٢- الذكورة.

٣- الحرية.

٤- المنصب.

٥- الورع.

٦- الشجاعة.

٧- الإجتihad.

بالنسبة للشرطين الأولين فذكرهما ضمنى ، والعلم بأصول الدين، والسنة، والكتاب، ووجوه الإجتihad تندرج كلها تحت بند الإجتihad. وبقي مما اشترط:

٨- اجتناب المهن المستزلة.

٩- الأفضلية.

١٠- التدبير. وهذا الشرط مهم.

١١- القدرة على القيام بمهام الإمامة.

[طريق الإمامة]

فإن قيل: أخبرونا عن هذا الذي يصلح للإمامة، متى يصير إماما، يجب على المسلمين طاعته.

قيل له: [إن الأمة قد اتفقت على أن الرجل لا يصير إماما بمجرد صلاحيته للإمامة، واتفقت على أنه لا مقتضى لثبوتها إلا أحد أمور ثلاثة: النص، أو العقد، أو الدعوة. وهي أن يبين الظلمة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى أتباعه. وهذا القول هو الحق لإجماع أهل البيت عليه ثبت هذا القول وبطل ما سواه و] ^(١) لأنه لا قول إلا قول من يقول بالنص، أو قول من يقول بالعقد، [وقد فسد القول بالعقد لإجماع أهل البيت على خلافه، وفسد قول من يقول بالنص، إذ لو كان النص على ما يقولون لكان نقله ظاهراً، ولا نقل لهم يصح فوجب بطلان قولهم، وإذا فسد القولان ثبت القول الثالث، وهو القول بالدعوة.

فإن قيل: فلم ادعيتم أن القائلين بالنص ليس لهم نقل صحيح؟

قيل له: لأنه لا يمكنهم أن يسندوا النص الذي يدعونه في الأصل إلى عشرة أنفس ولا خمسة، ولا معتبر بكثرهم في هذا الوقت، إذا كان أصلهم على ما ذكرنا، ومن نظر في كتبهم، وفتش أخبارهم، عرف صحة ما نقول من ضعف أخبارهم في الأصل ^(٢).

١٢- السخاء بوضع الحقوق في مواضعها. وهذا الشرط أيضا ملحوظ ضمن الورع عند السيد المؤيد بالله.

١٣- السلامة من المنفرات نحو الأمراض المشبهة كالجلذام.

١٤- سلامة الحواس والأطراف.

(١) في المخطوطة: سقط واضح. وما أثبت بين المرتكبين إجتهد لإصلاح النص، وقد استوجبه من السؤال وما بقي من الجواب. وعسى أن يمن الله بنسخة أخرى.

(٢) للتوسع في البحث يرجع إلى الرد على الرافضة للإمام القاسم بن إبراهيم الرسي بتحقيقنا.

باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن سأل سائل عما نذهب إليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قيل له: المعروف عندنا على ضريين:

مفروض.

ومندوب إليه.

فالأمر بالمعروف فرض، والمندوب ندب، والنهي عن جميع المنكر واجب.

والذي يدل على ذلك، قول الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَفِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [ال عمران: ١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿ • لَيْسُوا سَوَاءً مَنِ أَهْلُ الْأَكْتَفِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [يؤمنون: ١١٣-١١٤]. وقال سبحانه حاكيا عن لقمان أنه قال لابنه: ﴿ وَأُمِّرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقِ الْمُنْكَرَ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧]. وقال عز وجل: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [ال عمران: ١٠٤]. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يحل لعين ترى الله يعصى، فتطرف حتى تغير »^(١).

فإن قيل: فعلى من يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

(١) رواه الهادي في الأحكام ٢ / ٥٤٠، والعلوي في الجامع الكافي ٦ / ٤٧، بلفظ: لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير. والإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام في كتاب السير / ٢٤٥، والأمير الحسين في الشفاء في باب ما يجب على الإمام أن يسره به في رعيته. وقال: رويناه بالإسناد إلى المنصور بالله أنه روى بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تصرف. والحديث لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب العقيدة عند الزيدية، وإنما اكتفيت بتعريضه من كتب الحديث.

قيل له: إن ذلك على ضربين:

ضرب منهما: مثل إقامة الحدود، وسماع الشهادات، وتنفيذ الأحكام، وغزو العدو في ديارهم، وما جرى مجراه. فهذا الضرب مما لا يجوز القيام به إلا لإمام، أو من يأمره الإمام.

والضرب الثاني: منع الظالم من ظلمه، وتغيير سائر المناكير وإزالتها، فهذا وما أشبهه يجب على كل من غلب في ظنه أنه يمكنه إزالته، لا يجوز أن يتوصل إلى ذلك بأصنعب الأمور، مع التمكن^(١) من إزالته بالقول، لم يكن له أن يتجاوز به إلى الضرب، ومن أمكنه إزالته بالضرب، لم يكن له أن يتجاوز به إلى السيف، فإن لم يمكن إزالته إلا بالسيف، وجب ذلك متى تمكن منه.

والذي يبين صحة هذا، أن الغرض في ذلك هو إزالة المنكر، فإذا تم هذا بأمر كان ما عداه من الضرب لا معنى له، والضرب الذي لا معنى له يكون ظلماً، فيجب على من رأى ذلك، أن يحتاط ويتثبت، ولا يجاوز أمر الله تعالى، فإنه روي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: أنه أمر رجلاً بإقامة حد على رجل، فأقامه وزاده بسوطين، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتص للرجل منه، للمزيد من الزائد^(٢).

ثم الكتاب بحمد الله العزيز الوهاب، فله الحمد كثيراً، وله الشكر بكرة وأصيلاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعلى النبي وآله أفضل الصلوات.



(١) في المخطوطة: التمكن. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) لم أقف على هذه الرواية.

فهرس

٥	مقدمة
٥	المؤلف
٥	أبوه
٥	أمه
٥	مولده
٥	نشأته
٦	شيوخه
٦	تلامذته
٧	مؤلفاته
٨	من مؤلفاته:
٩	علمه
١٥	شعره
١٨	ورعه وزهده وحلمه
٢٠	جهاده
٢٠	منهجه في الحكم
٢٣	وفاته
٢٤	منهج التحقيق
٣٠	[التفكير فريضة إسلامية]
٣٢	باب [التوحيد]
٣٣	[شواهد الحدوث]
٣٣	[القادر]
٣٣	[العالم]

٣٤	[الحى]
٣٤	[السميع البصير]
٣٥	[القدم]
٣٥	[نفى المعاني في حق الله تعالى]
٣٦	[تزيه الله عن شبه الخلق]
٣٦	[تزيه الله عن الحلول في الأماكن]
٤٥	[الرؤية]
٥٥	[الله واحد]
٥٦	[القرآن]
٥٧	[باب العدل]
٥٧	[الإرادة]
٥٩	[مراد الله من المكلفين الطاعات]
٦١	فصل
٦١	[الله غمير مرید للقبائح]
٦٢	[هل يُعذب الله من لا ذنب له]
٦٣	[أفعال العباد ليست من خلق الله]
٦٦	باب النبوة
٦٨	[إعجاز القرآن]
٦٩	[أخبار النبي صدق]
٧١	باب الوعد والوعيد
٧١	[تخليد أهل الكبائر في النار]
٧٢	[الشفاعة]
٧٥	باب الإمامة
٧٥	[إمامة علي عليه السلام]

٨٧	----- [إمامة الحسن والحسين]
٨٨	----- [إمامة أهل البيت]
٩٠	----- [شروط الإمامة]
٩٢	----- [طريق الإمامة]
٩٤	----- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩٩	----- فهرس

